وماذا بعد الفراق؟

مجموعة قصصية

انتصار ربيع

ربيع، انتصار

وماذا بعد الفراق؟ . تأليف/ انتصار ربيع.

التصنيف : مجموعة قصصية

٢١ سم ، ١٥٨ ص

تدمك : ٨- ٥٩ - ٦٦٤٣ - ٩٧٧ - ٩٧٨

تدقيق لغوي وإخراج فني وتصميم الغلاف

يوريكا لخدمات النشر

01288627690

eureka4publishing@gmail.com

بالتعاون مع

دار المثقفون العرب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

رقم الإيداع : ٢٠٠٠٤

جميع الحقوق محفوظة و يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أى جزء من الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بإذن كتابى صريح من الناشر

إهداء

إلى كل قلب تحمل ألم الفراق، وما زال يخفي ذاك الألم ببسمة مصطنعة وبدأ حياته، ولم يستسلم لليأس.. إلى القلوب التي لم تتحمل، وهوت صرعى.. إلى كل قلب يحاول الاستمرار لكنه داخليًا منتهي.. إلى كل قصة حب انتهت وتركت قلوبًا تنزف في صمت، وإلى كل روح فارقتنا، ومازالت ترفرف حولنا.. إلى الصامدين رغم كل فراق.

إليكم هذا العمل..

انتصار ربيع

4

مقدمة

ونرحل بهدوء وتظل ذكرانا بطيب الأثر الذي نتركه برحيلنا ويفتقدنا من كنا يومًا في قلوبهم وكلما حركت رياح الحنين لطيفنا رفعوا أكفهم بالدعاء لنا واغمضوا العيون كي ترتشف أرواحهم من ماضينا الجميل بينهم مع ابتسامة حزينة عطشى للقاء يجمعنا، وعلى الجانب الآخر من يتركون الدنيا ببغض أصحابها من أفعالهم ومن خبث تعاملهم لهم، فكلما هلت ذكراهم ابتأسوا بملامح وجوه يملؤها الغضب رافضين ذكرى تخوض في ماضيهم توقظ بذكراهم الحنين لهم . الدنيا ليست دار مستقر ولكنها ممر، فمن مر فليحسن المرور متعطرًا بعبير الكريم الذي كلما حل بمكان ترك عطره يفوح مكانه.

الفراق بكل أشكاله إحساس صعب والكلمة تحمل في مفردات اللغة معانٍ كثيرة، فهي تشير إلى البعد والانفصال والاتساع والبّين وكلها تعطي إحساسًا يصعب على أحد تحمله، ففراق الموت يولد كبيرًا، وفراق الحب ناره تظل مشتعلة سنوات وسنوات ,ويجب علينا أن نكون مستعدين تمامًا للحظات الفراق، ونتدرب أنفسنا على النسيان لنستطيع العيش ونعلم جيدًا أن لحظات ألم الفراق لا تنسى ولا تقارن أبدًا بأي لحظات، فدائمًا أوقات السعادة مهما طالت سرعان ما ينتهي الإحساس بها، أما لحظات ألم الفراق يظل باقيًا تشعله نيران الحنين حينما تهب عليه رياح الذكريات، فتلهب معه أشواقنا لزمن مضى أو أحباب عنا رحلوا..

وماذا بعد الفراق؟

مجموعة قصصية تصف لكم الفراق في صوره المتعددة، فأحيانًا يباغتنا وأحيانًا أخرى نختاره

بأيدينا وتارة يأتينا عنوة وغصبًا بلا إرادة لنا أو اختيار.

قصص قصيرة تحاكي واقعنا ما بين فراق مسطور، وجراح تئن ومع ذلك نسير ويمضي بنا الركب لحياة خلقنا فيها في مشقة وتعب.

انتصار ربيع

نبضات قلب

نظرت عاليًا لتلك السُّحب المتثاقلة، تود لو أنها تطير إليها كي تحتضنها وتدور بها.. تسابق البرق وتخرس ذاك الرعد، وتنساب بهدوء غيثًا على تلك القلوب الموجوعة المتألمة. تجلس علي تلك الأريكة بحديقة كبيرة واسعة ، تتساقط أوراقها في ذاك الخريف الذي أطل مسرعًا وتكسوها تلك الوحدة القاتلة ، وشمس أوشكت علي الغروب وليل طويل يهل عليها وتشاركه دقات عقارب ساعة لا تمل ولا تهدأ والجميع هنا يشبهونها في هدوئها وصمتها، وأيضًا يقاربونها السن، فاليوم أتمت الخامسة والستين ومازال قلبها مليء بالندبات جرّاء تلك الطعنات التي تسبب فيها كل من أحبتهم.. أعطت دون مقابل، وكان عطاءها دومًا مستمرًا كأنه فريضة يحاسبونها إن قصرت يومًا بأدائها، لا أحد يهتم.. الكل يرونها آلة تدور لا تكل ولا تمل.

واليوم وفي هذه اللحظة تحديدًا الكل هرب منها لحياته، أبناؤها.. أحبابها حتى أصدقائها .. إلا هو ظل معها يترقب من بعيد نظراتها، دقات قلبها.. نبض عروقها.. كأنه ظلها يحاول أن يعالج ما سببته عقارب الزمن بها من انحناء وتجاعيد وشيب يراه الجميع هرمًا، ويراه هو بعين قلبه جمال دائم لا يؤثر فيه الزمن، ظل عمر بجوارها لا يتركها لحظة، يحاول جاهدًا أن يعيد إليها تلك الذاكرة التي ودعتها، منذ زمن ليس ببعيد لكنها هربت من هذا الزمن وكأن الجراح محت كل الذكريات من حياتها في هذا المدعو(ألزهايمر) فقدان القدرة على التذكر لا تذكر.. سوى اسمها الذي كانت تفتقد فيه صفاته فكانت (ذكرى).

ذكرى .. بعد كل عطائها الآن باتت مع ذاك الحرمان القاتل، والحزن بادٍ عليها وكأنها مرآة منكسرة، و دومًا شاردة.. صامتة، لكن بقلبها صخب السنين من الألم الدائم المصاحب لها كلما أغمضت عينيها تفترسها رؤى الماضي بمنامها.

عمر..

هو حبها الصامت وابن عمها الذي أرادها زوجة له، لكن القدر كانت له مشيئة أخرى، وتزوجت حينما كان مسافرًا لاستكمال دراسته. رجع عمر ليجدها وقد أصبحت حياتها لمن يراها شبه مستقرة، و مرت الأعوام ومات زوجها وبقيت صامدة تكمل رسالتها مع أولادها، وهم بارعون في الأنانية لا يفكرون إلا في أنفسهم، وبعد أن أكملت رسالتها معهم، أرادو مكافأتها مكافأة كبيرة ألا وهى النسيان والإهمال.

بعد أن تزوج أولادها وكانت حياتهم بعيدة عنها بمسافات كبيرة ليست مكانية فقط، وإنما كانت أحاسيسهم أيضًا بعيدة، فمع بُعد الأماكن كانت كل لحظة يعلو بينهم سور الفقد والاشتياق والغفلة والبعد، فأصبح أولادها بعد السؤال تدريجيًا كل شهر أصبحت تمر شهور ولا يسألون عنها، والوحدة قاتلة تطحن ببطء ذاك الحنين إليهم.

وقف عمر ينظر إليها ويتذكر يوم كان يزورها هو وزوجته منذ خمس سنوات فوجدها مريضة وكيف صار قلبه ينزف حزنًا علي وحدتها وترك أولادها لها وكيف أنها أشارت عليه أن ينتشلها من هذه الوحدة القاتلة إلى دار للمسنين وأنه رفض رفضًا باتًا لهذا الطلب، وعرض عليها أن يأخذها معه لبيته ولكنها رفضت بشدة بالغة.

ففكر عمر أن ينشئ دارًا للمسنين تكون هي شريكته في إدارتها في منزلها الواسع والذي كان مناسبًا لهذا الغرض، ويكون بذلك معها بصفة مستمرة ومطمئنًا عليها لأنه مازال رغم البُعد ينبض قلبه بحبها.

وافقت ذكرى لهذا الإقتراح وكانت الدار خطوة جيدة لها لكي تتناسى ما بها من إهمال أولادها وتمحو ذاك الحنين والاشتياق الذى شق قلبها عليهم لتبدله لهؤلاء الذين يعانون مثلها الوحدة بعد أداء رسالتهم، وأصبحوا حملًا ثقيلًا على أولادهم.

ومرت السنون وذكرى مطمئنة بوجود عمر بجوارها يهتم ويحنو ويسأل فقد أصبح هو لديها السند و الأمان وهو الحب الباقي لها ،وهذا العمل الذي أحيا لها نبض الحياة من جديد ،وبيتها التي دبت فيه الحياة من جديد بوجود أمثالها من المسنين و المنسيين من ذويهم وأحبابهم.

وأصبحت ذكرى تداوى جروحها وجروحهم سويًا متناسية أسباب أحزانهم بحياة جديدة مليئة بالأمل، فقد برعت ذكرى برسم خطط جميلة متنوعة بين القراءة والرحلات والبرامج الرياضية وكان الكل سعيد بحياته الجديدة في تلك الدار، كانت ذكرى تقيم أمسية ثقافية تجمعهم وتقرأ لهم، وعمر دومًا حريص كل الحرص على حضور تلك الأمسيات الرائعة التي يستشعر فيها كل الجمال فكانت ذكرى تقرأ لهم من مؤلفاتها عليهم ما يسعدهم.

كان الجميع يستعرض مواهبه التي دفنت مع ازدحام حياتهم، و عمر معهم يشارك بتلك

القصائد التي كتبها لها من عشرات السنين والتي أسماها (إلى الحبيبة النائمة بحنايا قلبي)

كانت ذكرى تدرك أن تلك الكلمات رغم عدم بوحه إليها أنها تخاطب قلبها الذي لم يحب غيره وظل صامدًا أبيا لا ينطق ولا يهمس إلا بخيال لا يحاسبها عليه أحد ، ورغم أن عمر قد تقدم للزواج منها بعد موت زوجها إلا أنها رفضت بشدة لأجل استقرار بيته وحياته وصورته أمام أولاده، وبعد محاولات عديدة منه ورفض قاطع منها رضخ عمر لرغبة ذكرى، وظل ما في قلبه صامتًا لا ينطق إلا بهمسات قصائده.

واليوم حضر أولاد ذكرى بعد غياب دام سنوات وسنوات بأولادهم و قد فوجئوا بتلك الدار في بيتهم ، وما كان منهم إلا أنهم لم يتقبلوا هذا الأمر غافلين عن إهمالهم لها، ناسين أنهم كانت تمر الشهور دون السؤال عنها وكأن قلوبهم القاسية لم تخلق من أحشائها وكأن هذه الدماء التي تتدفق في عروقهم ليست نابعة من

مسرى دمائها أرادوا بمجيئهم أن يردوا قلب أمهم قتيلًا رغم دقاته التي تنبض حبًا بعروقها لهم. هددوها بأنهم سيقومون برفع قضية حجر عليها ليأخذوا منها ذاك البيت وكأن الغربة بعيدًا في بلاد الغرب جعلتهم يتشربون القسوة ونسوا تعاليم دينهم الذي يحث على البر بالوالدين، وأصبح المال هو كل شغلهم الشاغل دون أن يدركوا السن التي وصلت إليه أمهم والتي تحتاج فيه من الرعاية والاهتمام ما يجعلهم يتركون كل شيء بأيديهم ويبيتون تحت قدميها ,وكان لحب الدنيا لديهم له نصيب الأسد طغى على مكانة أمهم بقلوبهم.

وقف عمر بجوارها ضدهم وأفشل خطتهم ، وحينما فشلوا بمخططهم سافروا تاركين طعنة بفؤاد أمهم لا تمحوها السنون، صدعت بها شرخا لا يجبر ولا يطويه الزمن ولكنها ظلت صامدة وعقلها يصدر تلك الأوامر لحاسة الذاكرة والتفكر ليمحوا كل ذكراهم من حياتها فأصابها مرض النسيان لم تعد تتذكر أحد لم تتذكر غير

عمر وشبابها، فكان كلما يأتي إليها عمر تنظر إليه ونظرات الحب والحنين والاحتياج تغمرها فيجلس معها لساعات يحادثها.

ظلت ذكرى على ذاك الحال إلى أن فاضت روح عمر إلى بارئها، ومرت الأيام وذكرى تجلس على ذات الكرسي تنتظر حضوره ولكنه لم يأتِ، واليوم حضر عمر في صورة ابنه يوسف الذي أوصاه بها قبل أن يموت، وبالاهتمام والحضور لها يوميًا، ولأنه كان شبيه أبيه لم تلاحظ ذكرى الفرق بين عمر وابنه يوسف ولأن ذاكرتها غير قادرة على الاستيعاب لم تستوعب أنه يوسف وبما أنه كان يفعل ما كان يفعله أباه من مدونته في مذكراته والتي كان يقرأها لها كل يوم وهكذا كان حبًا ووفاء باقيين رغم فراق الموت الذى أبعدها عنه ورغم قرب أبنائها من قلبها إلا أنهم أثبتوا أن قلوب المحبين موصولة حتى بعد الموت، وبعد كل لقاء بينها وبين يوسف تنحدر دمعة تتسأل أين ذهب عمر؟ ويمحوها الابن البار بأبيه بقبلة حانية

على خدها مودعًا ليأتي إليها غدًا في موعده.

راحل دون وداع !!

رياح تعصف بنا.. تتأرجح معها أحزاننا.. تحرك فينا فزعًا لتلك الذكريات وهذا الأنين المستوطن دواخلنا، ويئن ذلك الحنين يتوسل الزمن ألا يعود به للوراء لذاك الراحل منه دون وداع.

وقف حازم أمام المرآة يتطلع لهيئته شاردًا بخياله، والأنين يدب في أوصاله فتى ومضة من الزمن طافت به ، حينما سمع صوت صفير الريح الذى ذكره بصوت أبيه العالي مطالبًا إياه بمغادرة البيت في تلك اللحظة دون شفقة أو رحمة ، وكأن حنان الأبوة انتزع من حنايا قلبه وهذا كله لأجل أن ينال رضا زوجته الجديدة ويحاول حازم أن يوضح الأمر لأبيه ، ولكن دون جدوى وكأنها نزليخة التي أحكمت إغلاق الأبواب وقالت هيت لك ثم إذا به تطالب بسجن يوسف حين انكشف أمرها، فهي الأخرى أحكمت قبضتها على قلب ذاك العجوز بدلالها

كي لا يرى إلا بعينها ولا يسمع إلا بأذنيها، وقف الولد حائرًا إلى أين يذهب في هذه الساعة؟ ودموع عينيه تنساب منه ويحاول جاهدًا أن يبرئ نفسه من ذاك الاتهام الذي مكرت به تلك الماكرة زوجة أبيه ولأنه لم يتجاوب معها لغايتها الدنيئة، فأسرعت تعد خطتها بدهاء ، وبدموع التماسيح نجحت بل برعت في إحكامها وتخلصت منه وقفت تنظر إليه وهو خارج لا حول له ولا قوة متحدية له بنظراتها تهز رأسها وتبتسم بعينيها ابتسامة الثعلب الماكر لنجاح خطتها مع أبيه وانتصارها عليه جزاء رفضه حبها وشهوتها الحيوانية الجامحة .

خرج يتخبط مع الرياح كأنه ورقة شجر خاوية سقطت في ليل خريف موحش حيث لا قمر يضيء ولا نجوم تسطع ليل مظلم تكثر في سمائه السحب المتثاقلة وصوت آهات المتألمين تسارع صوت الرعد وشرارة البرق تتهاوى به هنا وهناك ، وأنين اليُتم يمزق أحشائهِ لدنيا خلت من الحنان بعد موت أمه ماذا يفعل وإلى أين

يذهب؟ ثم وجد نفسه يقف أمام قبر أمه يبكي.. ينتحب.. وتتعالى معه الرياح ويشتد معه زئير الليل لقلوب بشر أصبحت بلون ظلمته.

وتمر عليه سيارة سوداء يشيح صاحبها بضوئها عليه ليميز هيئته ثم يقف وينزل من سيارته ويسأله:

- لماذا أنت هنا يا بني ؟

وتتلعثم الإجابة في فم الشاب لا يعرف ماذا ينطق وبماذا يجيب؟، فيفيض الغيث بركات من السماء وكأنها إشارات من الله بمد يد العون لهذا الشاب فيربت الرجل علي كتف الشاب الذي لم يتجاوز السابعة عشر من عمره ويطلب منه الركوب معه فى سيارته ليقوم بتوصيله لوجهته، ولكن ما هي وجهته إلى أين يذهب؟ لا يعلم!

انطلق الرجل الدمث خلقًا المتحلي بالصفات العالية في زمن تهاوت فيه كل القيم والإنسانية في عالم ذلك الشاب، وحينما وصل لبيته وبعد أن

سرد الشاب قصته للرجل وهو ينتحب ويبكي بكاءً مريرًا بنكهة اليتم، بكاء لا صوت له ولكنها دموع تنهمر شلالات علي وجنتيه، تأثر الحاج صلاح بما قاله حازم ، و طلب منه المكوث معه ليعينه في بعض مهام أعماله.

وكان الحاج صلاح رجل أعمال يعيش بمفرده بعد موت زوجته وهي تلد له ابنته ليلي التي حرمت حنان أمها فصار هو الأب والأم لها ، وكانت في مثل سن حازم لكنها تصغره بخمسة أعوام , ونظرًا لأعمال الحاج صلاح الكثيرة والتي كانت عائق في متابعة ابنته ولأنه لم يجد أحد يثق فيه لرعايتها ألحقها بمدارس أوروبية بها من الاهتمام والرعاية ما يجعله مطمئن عليها نظرًا لسفرياته المتكررة بهذه البلاد فكان يمكث فترات بمصر وحيدًا، ورغم الغنى الفاحش لم يكن الحاج صلاح مغترًا يومًا بماله، بل كان يساعد الكثير من الفقراء في الخفاء دون أن يعلم بعمله أحد ، رفض أن يتزوج وعاش مكرسًا حياته لابنته وعمله.. بنى نفسه بنفسه

تذكر حينما شاهد حازم علي قبر أمه مصيره الذي كان شبيهًا بمصير حازم فقد أذاقته زوجة أبيه من كؤوس الذل والهوان وكانت سببًا في طرد أبيه له من البيت لولا أنه كان له خال يسكن بالإسكندرية ذهب إليه وعاش بكنفه مدة بسيطة جاهد واجتهد و ظل يجتهد و ينحت الصخر إلى أن كوّن نفسه بنفسه، ومات خاله ثم ترك الإسكندرية واستقر بالقاهرة ليباشر أعماله ويصير رجلًا من أهم رجال الأعمال، تزوج في سن الأربعين ولم يرزق بالذرية إلا بعد عشر سنوات من زواجه وحينما رزق بابنته فقد زوجته هكذا هي الدنيا تعطي وقبل أن تعطي يجب أن تأخذ وما علينا إلا أن نستسلم للفقد وألمه ونظل صامدين مستسلمين له، فظل الحاج صلاح يعمل ويكد ويجتهد ليصبح من أكبر رجال الأعمال، كان يساعد من يجدهم خاصة فى مثل ظروفه، ومن يراه محتاجًا للمساعدة دون انتظار منهم للمساعدة حفاظًا على كبريائهم وكرامتهم وكلما قام بهذه الأعمال الخيرية تذكر ماضيه المؤلم.

وبعد أن أسدل الليل ستائره أشرقت شمس صباح يوم جديد، تحدث الحاج صلاح مع حازم وعلم بقصته كاملة، ورأف قلبه لحاله وحينما علم أن حازم تفوق في الثانوية العامة ولم يلتحق بأي جامعة حزن كثيرًا وطلب منه أن يبقى معه وهو سيتكفل بكل مصاريف تعليمه في مقابل عمله معه بفترة الصيف وأثناء عطلته، دبر له مكانً ليقيم فيه بفيلته نظرًا لأنه وحيد معظم الأوقات.. هكذا أراد الحاج صلاح أن يوحي لحازم أن مساعدته له ليست صدقة ولا منة منه بل مقابل عمل يقوم به له.

ابتهج حازم لموقف الحاج صلاح معه وحدث نفسه بأنه سيظل جميله طوق فى رقبته إلى أن يمكنه الله من رد هذا الجميل، طلب الحاج صلاح من حازم أن يلتحق بكلية الطب فقد كان حاصلًا على الثانوية العامة بمجموع كبير إلا أن زوجة أبيه أصرت على أبيه ليبقيه لزراعة الأرض وهكذا تكون ضمنت حضوره بجوارها

ولكن خطتها بائت بالفشل.

وهنا تهلل وجه حازم فرحًا فقد كانت أمنيته أن يلتحق بكلية الطب ومرت الأعوام وتفوق حازم ،وحصل على الدكتوراه وكانت ابنة الحاج صلاح مقيمة بفرنسا وكان يتابع معها ويسافر إليها متابعًا لكل أمورها وأصابه مرض مزمن يحتاج لإجراء عملية جراحية خطيرة لكنه أخفى خبر مرضه عن ابنته وعن جميع من يعرفه وظل يعمل ويجتهد ليجمع لابنته ثروة طائلة تساعدها وتعينها إذا فاز عليه المرض وافترسه وأودى بحياته ، وكان قد صرح الحاج صلاح لحازم عن مرضه لأنه أصبح بمثابة ابنه.. حزن جدا حازم لمرض الحاج صلاح وأصر أن يتخصص في مرضه كي يرد له الجميل ويكون سببًا في شفائه.

أصبح ولدًا حقيقيًا له بعد أن طرده والده ، و الذي علم بعد ذلك أنه ضبط زوجته مع جار لها فتهاوى عليها فقتلها فحكم عليه بالإعدام.

واليوم وتحديدًا هذه اللحظة التي رد فيها الجميل للحاج صلاح بإجرائه عملية ناجحة له باستئصال ذاك المرض اللعين وكأن الله رد يوسف لأبيه وقر عين يعقوب بيوسف، وهذه الرياح العاتية اليوم، وكأنها تذكره بتلك الليلة التي طرد من بيت أبيه بفعل لم يرتكبه.. ذكرته أصوات تلك الرياح بزئير حزنه الجامح بحنايا قلبه، وذكره أيضا سواد هذا الليل أنه لابد أن يأتي الفجر الجديد محملًا بالبِشر والإشراق، التفت إليه وهو ملقًى على سريره الأبيض وتحوطه تلك الأجهزة الطبية وتلك الذكريات التي اجتاحت مخيلته الليلة. نطق همسًا و حازم من أمام مرآة حجرة العناية المركزة بعد مرور يومين وهو بجانبه لم يخرج من تلك الغرفة إلا لمتابعة سريعة للمرضي بعد أن كلف زملائه بالمرور عليهم إلا أنه دومًا كان حريصا على المرور عليهم وباستمرار يعود لغرفة الحاج صلاح يتابع لحظة بلحظة حالته ولا يعتمد على أحد، ينام بجواره ويحتسي قهوته بجانبه، وها هو الحاج صلاح ينطق مستجيبًا بعد

مرور أكثر من ثلاثة أيام بغرفة العناية المركزة ناطقًا :

- حازم

ويسرع إليه ابنه حازم يقبل يديه ودموع الفرح والسعادة تسبقه.. حازم مسرعًا :

- لبيك يا أبي الحمد لله على سلامتك.

الحاج صلاح:

- أين أنا؟

حازم:

- أنت هنا بالمستشفى أجرينا العملية والحمد لله نجحت وما هي إلا أيام وتكون فى أحسن حال إن شاء الله.

وتوالت الأيام وتم شفاء الحاج صلاح بيد ذاك الشاب الذي بدا له من ظلمة تلك الليلة الموحشة.

واليوم ترجع إلى أبيها ليلى وهي تحمل أعلى

الشهادات التخصصية في الأجهزة الطبية وعندما رآها حازم خطفت قلبه بجمالها وظل الحاج صلاح يراقب تلك النظرات من حازم لابنته، وتمر الأيام وهو سعيد لذاك الإعجاب، وعرض الأمر على ابنته فبدا الإعجاب ظاهرًا منذ اللحظة الأولى لتكتمل سعادته بزواجهما وهكذا ذهبت الرياح العاتية لتأتي بنسائم الربيع علي حياة حازم وكأن فراقًا أتى بالخير على عكس ما نتوقع فليس كل فراق نهاية.

أواه يا قلب

نظر إليها وهي ملقاة على مخدعها، وكأنها ملاك نائم ، يود أن يغيب عن هذا العالم ويقتنص لحظات الماضي بينهما ، ودموعه تتحجر في عينيه، وغربة بدأت تقتلع فؤاده ، وحده معها يهمس في أذنيها لعل قلبها يستجيب ويرق له ، ويستعيد نبضاته من جديد، يتلمس يدها لعل دفء يسري فيها ، هدوء موحش يمهد لفقد جميع الأحباب لفقدها، اقترب منها ودنا ومال على ثغرها يتحسس رحيقها، يتأمل بسمة كانت تداعبه، وقُبلة منها كانت تسقيه كؤوس الحنان في آن واحد، ولمسة من كفيها الحانيين، حينما كانت تنساب إلى شعر رأسه، وهو نائم علي صدرها يغفو أمانًا من عالم كله خوف وريبة، احتضنها وودَ لو أن العالم ينتهي من حوله في تلك اللحظة، وتمني أن يجد ذاك الدفء الذي تعود عليه منها، تحسسها.. شعر بقشعريرة لم

يشعر بها من قبل في أحضانها.. ضمها إلى صدره لعلها تفيق وتناجيه، بدأ ينتحب ويبكي رافضًا لهذا الواقع الأليم .

نطق بصمت قلبه الحزين إلى أين تذهبين وتتركيني؟.. أتذكرين أحلامي التي كنت أرسمها معك؟، وزوجة المستقبل التي كنت تنوين أن توصيها علي وبيتي الذي كنت دومًا تتحدثين بأنك ستفعلين وتفعلين حينما يكون لي أولاد؟ إلى أين تذهبين وتتركني ؟ وذاك الوعد الذى قطعته على نفسك لي؟.. أماه لا ترحلي عني.. ردد تلك الكلمات بصوت منتحب وبآهات سنوات قادمة ممتلئة بالأنين والحسرة، ردد.. أماه لا ترحلي فغيابك عني سيقتلني.. أماه أفيقي.. عاربي الموت لا تتركني هنا وحدي فإن غربتي قاتلة من غير حضورك، وأغمض عينيه وهام إلى تلك الأيام، ومشهد لن ينساه حينما غابت عنه لأول مرة بحياته وهو طفل في العاشرة من عمره وها هو ينتظر وصولها.. زاغ بصره إلى صالة الوصول يلتفت إلى الحاضرين،

لعلها تهل عليه، وقلبهِ تتسارع دقاته شوقًا وحنينًا لها ،وها هي قادمة.. يسرع من مكانه ينتفض إليها يسابق نظرات عيونهم ويحتضنها، وتفتح ذراعيها متلهفة إليه في شوق جارف ،وها هو الأمان رجع إلى حياته ، ولسان حاله ينطق :وها هو موطني قد عدت إليه بعد أن كنت في غيابها أسير، وها هي البسمة عادت لثغري وها هي أمي عادت إلي وعادت معها سعادتي ،ومن حينها وهو يخاف أن تسافر إلى أي مكان بدونه بعد أن وعدته بعدم تركهِ مرة أخري وحيدًا.. ويتابع وهو ينظر إليها ويحدث نفسه قائلًا:

- وماقف لي معك يا أمي لن ينساها قلبي.. كنت حنانًا ينبض بكل شرايييني

لن أنسي يوم أن دخلت علي وأنا أختلي بنفسي وأدخن تلك السيجارة وأنا في الخامسة عشر من عمري لم تتذمري علي بل تركتني وحدي وبعدها بمدة حاولتِ إقناعي ونجحتِ أن تجعليني أحيد عن ذلك التصرف وغيره.. كنت

الأب والأم والأخ والأخت والحبيبة الأريبة القريبة.. لن أنسى لك حينما تجمعوا بعد أن مات أبي يطالبونك بأن تتزوجي، وحينها كنت صغيرًا لا أعرف ما يدور حولي ولكني شاهدتك وأنت ترفضين كل محاولاتهم وترددين ليت عندي حياة أخرى.. ولكني حياتي أصبحت رهن حياة ابني لن أجعل له زوج أم ينهر أو يقسو عليه سأظل له الأم والأب سأعيش له وحده.

واليوم وفي هذه اللحظة تحديدًا لماذا تنقضين عهدك؟.. لماذا تستسلمين لذاك الموت؟.. وهذا القلب الذي أحتضنه الآن أين ذهبت دقاته؟

ويبكي ويصرخ و يتعالى صوته.. أماه عودي لا تتركيني، إن الحياة موحشة من غير حضورك فيها، ويتجمع حوله الجميع يواسونه ولكنها لا تستجيب.

يصرخ عاليًا:

- من لي بعدك؟ فإن الحياة أنت.. فلا حياة لي بعدك.

ويسقط متهاويًا على الأرض، ويستجيب القدر لندائه فيتوقف قلبه الذي لم يستطع تحمل فراقها لم يستجب عقله بأن الحياة يمكن أن تسير من غيرها ويقف نبض قلبه الذي أثبت أنه ينبض من قلبها ويحن الموت إليه يختطفه ليظل باقٍ على عهده لها، ويرقد بجوارها وروحه تعانق روحها وبسمة من عينيه، لامتداد روحه معها فقد أصبح بجوارها يتفقان بالرحيل سويًا قلبًا بقلب ويدًا بيد .

فراق مسطور

وبين لقاء عابر وبينفراق مسطور، ومسافر حينما يصل يدرك أنها كانت محطة النهاية، وأن وصوله لم يكتمل بعد بالوصول، بل أصبح مع تلك الذكريات التي كانت حينما كان مسافرًا تأخذنا الدنيا، وتميل بنا مع أوجاعنا ، تسعدنا مرة، وتؤلمنا مرارًا، وتسير بنا، ولا تقف، وكأنها آلة تدور بنا.. نتشابه فى الألم ونتساوى مع الحنين ونتهادى لبعض مزيج من الآهات، قد تكون أحيانًا الجراح واحدة والأشخاص متعددون، وتجمعنا الأقدار مع أناس ندرك معهم قيمة اللحظات الجميلة ولكنها سرعان ما تنتهى وكأن القدر علي موعدٍ معنا ليعيدنا لما يسمى بالفراق المحتوم.

قابلتهُ بعد سنين فقد كان زميلًا لها بالدراسة ، وقد جمعهما بالماَضي حُبا أخرس دام بصمت، ولم يصرح كلًا منهما عن مكنون ما بداخله.

للآخر، وأخذتهما الدنيا وباعدت بينهما، ولم يدركا حقيقة حبهما إلا في تلك اللحظة التي جمع بينهما القدر وتقابلا في هذا المؤتمر وتلاقت العيون وكأنها سهام حركت نيران الشوق الكامنة بينهما واقترب علاء يلقي بالتحية على زميلته وحبه الصامت النائم بين حنايا قلبه فقد كانت غالية باسمها وهي كذلك بقلبه غالية قائلًا:

- غالية.. ما أخبارك؟

وكأن ذلك الاستفهام الذي طلبه توسل منه إليها كي تطمئنه بمكانته في قلبها هل مازال بمدونة ذاكرتها أم مُحِي مع عقارب الساعات وتعاقب الخريف تلو الآخر على ذاك الحب الذي كان وليدًا حينها حينما روي فراقًا وحرمانًا.

غالية تبتسم مع نظرة حانية كلها شوق لتلك اللحظات الراحلة وترد:

- علاء؟!.. كيف حالك؟

ومدت يدها لتسلم عليه وكأنها تستجديه أن يأخذها لعالمه وينتشلها من ذلك الواقع الأليم.. علاء مد يده يصافحها وأغمض عينيه وهام في تلك اللحظة يعود للوراء.. لآخر لحظة كانت بينهما.. وها هي صفحات نتيجتهما بالجامعة معلقة وهو يهتف قائلا:

- امتياز يا غالية.

وهي ترد عليه:

- وأنت ما ترتيبك ؟

فيرد:

- امتياز أيضا!

فيقف حائرًا مع ذاك الصامت الملازم لحاضرهما، ويريد أن يفصح بمكنون فؤاده وحبه لها، وتسود فترة صمت لا تتعدى الدقائق ولكنها كانت فارقة بينهما يتسابق زميلهما علي ليطلب من غالية أن يتكلم معها بموضوع هام ويريد عنوانها .

وفى هذا اللحظة ينطق صمت اللحظتين بين ماض راحل وحاضر مؤلم فيفيق علاء على صوت هاتف غالية، وإذا به علي يحاكى زوجته غالية :

- هل وصلت؟

غالية تجيب وهموم الدنيا كلها تثاقلت على تعابير وجهها لمن يراها :

- نعم وصلت.. أنا الآن بالمؤتمر.

علي وكأنه يفرض عليها حصارًا بأسوار عالية كي لا تستطيع الفرار منه يرد بصيغة الأمر:

- حينما تنتهين اتصلي بي فورًا.

وكان زوج غالية يغار عليها غيرة بشعة حوّلت حياتهما لسوء، ولولا وجود الأبناء لكانت استحالت بينهما الحياة للأبد.

وعلي الجانب الآخر يقف علاء حينما أدرك أن القدر جعل علي زوجًا لغالية، يسارع قبله بخطوة فيفوز بقلبها لسهولة إمكانياته فهو لن

ينتظر إلى حين أن يكوّن نفسه ومستقبله، ويقف هو متمنيًا لها حياة أفضل تاركًا قلبه صامتًا بحبه يتتبع أخبارها من بعيد، وكلما سمع أنها بخير بحياتها الزوجية أيقن أنه أصبح ذكرى من الماضي، فواصل حياته التقليدية بزواج وبناء أسرة يحرص كل الحرص على سعادة أفرادها، والآن شاء القدر أن يجعل لهما لقاءً عابرًا يأخذهما لتلك اللحظة التي دونت بفراق مسطور، وينتبه علاء أن غالية أنهت مكالمتها وتنتظر محادثته لتطمئن عليه وعلى أخباره لكن الحاضرين تعاونوا مع القدر ضدهما بألا يفوزا بهذه اللحظة فتتقابل الأعين وتتعانق وبها كل الأحاديث.

ويبدأ المؤتمر وينشغلا بعملهما، فيتلهف علاء ليواصل الحديث مرة أخرى معها ويسرع كي يحظى بدقائق بعد انتهاء المؤتمر علّها تشبع شوقه وحنينه إليها، فيشاهدها من بعيد وهي تركب مع زوجها، فيعلم علاء أن الفراق مازال بارعًا معهما وأن لحظاتهما لازالت تعيش حالة الصمت،

بين لقاء عابر وفراق مسطور ونيران خامدة تشتعل حنينًا وشوقًا .

على أطلال الحنين

قامت من نومها على أثر حلم راودها وأعادها إلى صباها، وهي بالعشرين أخذت تحملق بسقف الحائط، كأنه شاشة عرض سينمائية تستعرض أحداث مرت بها فى حياتها.. انتفضت من مخدعها، وهى تنجذب نحو هذا الإحساس الجميل ونظرت بالمرآة، وإذ بتجاعيد قد بدت على وجهها.. تنهدت، وأغمضت عينيها وكأنها تسترجع ذاك الماضي الأليم الذى فرق بينها وبين آمالها، وتسائلت ما الذى استدعاك بمخيلتي بعد مرور كل هذه السنين أومأت برأسها تتذكر بفكرها شاردة وكأنها تريد أن تذهب بها إلى تلك اللحظة

وها هي في ذاك المكان الذى اعتادت على مقابلته فيه بعد انتهاء عمله وعملها، انتظرت قدومه طويلًا وهى تتلفت عساه أن يهلّ عليها لتحيا وتستمد منه القوة التي تساعدها على

الصمود، جلست تترقب والوقت كأنه ليل شتاء خالٍ من الدفء يمر ثقيلًا كئيبًا تسمع دقات قلبها كأنها عقارب ساعة تدق والكل نيام تتساءل بعينيها تُرى ما الذي شغله عني ؟

أيقنت بعد فوات موعدها بساعات بأن اللقاء بات معدومًا ،وأنه عليها الآن أن تعود إلى بيتها قامت متباطئة، وتود لو تراه من بعيد قادمًا إليها، فيهلّ عليها وكأنه هلال عيد، لكن الأمنيات تبخرت حينما تلاشت الشمس بالمغيب.

****

يصارع خالد أنفاسه، ويود النهوض لكنه لم يستطع فما زال يحاول أن يهرب بنفسه من واقعه بعد ليلة قضاها يبحث فيها عن حل كيف يصارحها بأنه لابد لهما أن يفترقا نظير ذاك الوعد الذي تعهد به لوالدها. كان يغمض عينيه ولكن كل جوارحه متيقظة مشتتة ما بين حب على حافة هاوية الفقد وأمل بات معدومًا ، ظل يتقلب محتضنًا وسادته،

فهي الآن رفيقة دموع عينيه و تراوده مشاهد حبه الضائع، وقلة حيلته وفقره الذي أضاع منه حب عمره، ويتأمل حبيبته بمفردها تنتظر قدومه، وتتلفت هنا وهناك فهو يعلم لهفتها ومقدار حبها له، وهنا قطع صوت الهاتف صمت ذاك الحزن المخيم عليه.. انتفض من مكانه فإذا بها تستجديه رنات الهاتف، وكأنها نبضات ودقات قلبها الملهوف للقائه.. تردد كثيرًا في الرد إلى أن صمت الهاتف وصمت الكون مرة أخرى من حوله، نظر خالد إلى الهاتف، وهو يرجوها أن تتصل مرة أخرى، فهو يريد سماع صوتها، وكأنها أكسير الحياة لقلبه، تعيد الاتصال به مرة أخرى.. أسرع خالد ملهوفًا ليرد عليها ويسمع صوتها ويطمئن عليها..

خالد: مرحبًا.

وفاء: أين أنت؟!.. لماذا لم تأتِ في موعدنا ؟ وتظاهر خالد بالنسيان قائلًا: موعد؟!.. أي موعد؟.. أكان اليوم بيننا لقاء؟

وفاء : هل يعقل أن تنساني وتنسى موعدي؟

تسابق دموعها كلامها، ورده عليها متجاهلًا موعدها وينتحب صوتها عصي البوح بما شعرت به، ويعتذر خالد لها بأنه مشغول الآن وحينما تأتي فرصة سيتواصل معها، وأغلقت الهاتف وألقت بنفسها على مخدعها تبكي بكاء مكتومًا يسمعه كل العاشقين المجروحين الذين احترقوا بنار الفراق وتذوقوا ألم البين بقلوبهم.

وعلى الجانب الآخر حيث خالد الذى استوى أرضًا متكئًا علي ركبتيه يصرخ بالبكاء وهو الآخر يردد:

- لأجلك سأرحل مجبرًا تاركًا قلبي بين يديك.. لا حيلة لي.. استنفذت كل الحيل وها هو أباك الذى قد أبرم معي اليوم عهدًا بقتلي وبُعدي عنك كي تسعدين مع صاحب المال والجاه وأنا الفقير المعدم ليس لي حق في قلبك ، ووجب عليه أن يرحل يا حبيبتي.

ويرحل خالد تاركًا مصر كلها دون وداع إلا أنه

أتي يوم سفره وانتظر عودتها من عملها مختبئًا كي لا تراه ليملأ عينيه برؤيتها في وداع أخير.. وداع صامت صاخب بصرخات الفراق ولكنها رأته فأسرعت إليه تعاتبه، وها هو آخر لقاء بينهما.

وفاء : أين كنت؟

تظاهر خالد تجاها بالفتور ويجيب متذرعًا بحجج واهية:

- كنت مشغولًا باستخراج أوراق سفري.

فوجئت وفاء بإجابته وردت:

- سفر؟!! أي سفر؟

خالد :

- مسافر لأجني المال.

وفاء : المال؟

خالد : نعم يا وفاء المال , الحياة هنا أصبحت لا تصلح لي يجب علي أن أتركها وأرحل.

وفاء :

- وأنا كيف لك أن تنهي كل ما بيننا هكذا؟ ألا تدرك إنني لا أستطيع العيش في مكان لا تكون فيه.

خالد :

- أعلم وأنا أيضًا لا يمكنني الحياة بدونك لكن يجب على كلٍ منا أن يكون له طريق مختلف.. طريقنا أصبح مسدودًا يا وفاء.

بكت وفاء وذهبت ولم تستطع أن تلقي عليه نظرة وداع، نظر إليها وإذ بدمعة تنحدر من عينيه أخرست كل الأحاديث ومضت ، ومضت معها السنون.

رحل خالد دون أن يلتفت وراءه خوفًا من أن يضعف، ولم يستطع مقاومة دمعها ، وقلبه يُقتلع من مكانه.. يصرخ.. يتهاوى.. يحتضر مع حبه وحبيبته التي أخفى عنها مقابلته لوالدها، الذي أكد له أن ارتباطه بابنته مستحيل استحالة طلوع الشمس من مغربها.

ركب خالد سيارة متوجهًا إلى مطار القاهرة مودعًا مصر كلها وينظر إليها، وهي على

أطلال حبهما تقف حزينة شريدة لا تعلم ما الجرم الذي أحدثته ليتركها ويرحل.
ردد خالد:

- أيتها الروح التي تسكن أعماقي.. أيتها الحبيبة التي حلت بقلبي واستعمرته.. اسكبي طيفك على قلبي المشتاق قطرات علّها تطفئ لظى الفؤاد الجريح وتخمد نيرانه، فطيفك للمريض العليل شفاء .

ردد خالد تلك الكلمات ودمعه ينزف لوعة لوداعها وبُعده عنها وجرحه الذى لا يجد له علاجًا.. رحل وهو يكتوى بنار الفراق وحب لم يكتمل وحكم عليه بالبُعد والشقاء.. أخذ يحدث نفسه قائلًا:

- جبرًا لا اختيارًا سأرحل، أخبئ الماضي بين حنايا قلبي، وأقلب صفحاته بدمع عيني، ربما أحن يومًا، ربما أغفو معه مرات، ولكن تأكد لي اليوم أنني سأمضي وحدي، فالطريق بدا فيه مفترق، وليس لي فيه اختيار .

سافر خالد وحمل قلبه الجريح مع حقيبته واسودت الدنيا بعينيه.

*****

هكذا نظرت وفاء لطيفهِ الساكن روحها، الذي مازال عالق رسمه بعينيها، وكأنه لوحة جميلة تزين حياتها لتغلق عليه جفونها، وتبدأ حياة جديدة، خالية من الحياة بعد أن هددها والدها أنها إن لم تتزوج هذا «العريس» لن تسمى بعد اليوم ابنته.. وضعها في حيرة وأخرس كل مكنون لديها ينطق، جعلها كالدمية يحركها كيفما يشاء، وعلمت من صديقتها أن خالد سافر بلا رجعة. سافر حتى دون أن يخبرها أن فراقهما كان متفقًا عليه من قبل أبيها، شاغ قلبها الوليد، بل أصبح يتيمًا في مشاعره، وكأنه لقيط ماذا تفعل؟ سافر واستطاع هو، ولكن هي .. ماذا تفعل؟.. وإلى أين تذهب بقلبها الجريح؟ وأفاقت على صوت حسن يطلب منها بصوته العالي الإفطار وكأنها كانت في غيبوبة وأفاقت، وكأن تلك السنوات التي مرّت لم تكن هي..

وكأنها شخص آخر لا قلب ولا روح ولا حياة.

أفاقت علي واقع مرير.. زوج ضرير المشاعر.. فاقد لأهلية المودة.. كل مؤهلاته المال والغرور والتكبر.. إنسان مستهتر؛ لا يراعي بحياته دينًا ولا عاداتٍ ولا تقاليد، يرجع كل ليلة مع بزوغ الفجر منتشٍ مخمورًا؛ لا يدري كيف قاد سيارته وكيف عاد إلى البيت، وكل يوم على هذه الحال؛ وهي صابرة لأجل ثلاث أولاد هم نبضة جعلت لحياتها معنى ربما تلك النبضة هي نبضة الصمود.

أسرع خالد إليها ينادي أمي حينها تبسمت وردت:
- نعم يا خالد .. ماذا تريد يا حبيب أمك ؟
فقال خالد:

- أريدك ان تجلسي بجواري يا أمي أريد أن أحكي لك شيئًا هامًا.
أجابته وفاء قائلة :

- سأعدُ لوالدك الإفطار وأعود إليك لنكمل حديثنا.

وتردد وفاء بينها وبين صمتها الذي تعلن فيه عن مكنون ما تعانيه .. خالد.. كلما تعالى اسمك في عالمي، عاد إلى قلبي وميض أمل إلى تلك الحياة التي أعيشها، كلما هتفت باسمك رد النبض في قلبي لأستمد منه القوة التي تعينني علي الصمود والاستمرار.

وعلى الجانب الأخر انغمس خالد بحياته الجديدة بجمع الأموال.. يسابق الزمن لعله يستطيع أن يرجع قبل أن تتزوج وفاء وينفذ والدها حكم الإعدام لحبهما .وفي يوم هاتف خالد زميله بمكالمة تليفونية، وأدرك حينها أنه قد تم زفاف وفاء.

ألقى خالد الهاتف من يده وجلس ودموع الحسرة تنهمر من عينيه، ووحش الغربة والحنين وبعد المسافات يمزقه تمزيقًا وأخذ يردد:

- وماذا بعد هذا الفراق؟ لمن أكمل حياتي؟ وقد خسرت كل شيء؟ لمن أجتهد ولمن المال؟،

المال الذي كنت سأشتري به حبي والذي ضاع الآن مني.

وأقبل عليه الليل الموحش وأسدل ستائره.. وخيم السكون وتصارعت أحزان خالد بين أنين وخيبة أمل ونهاية لكل ما كان جميل.. مرت السنون على خالد ثقيلة انغمس في عمله كي يتناسى حبه الذي يكتوي بناره كل ليلة باكيًا على وسادته يستدعي طيفها ويقول:

- وكلما لاح بالأفق كروان يغرد، يترائى لي طيفك في سماء حنيني إليك ، وتلتهب براكين وجدي.. تطوف بأجواء دنياي باحثة عنك.. عن همسة هنا ، ولقاء في ذاكرتي يناجيك مناجاة المشتاق إليك، وينادي عبير عطرك الذي ما زال عالقًا بأنفاسي وتغمض العين الجفون لتستحضر كل ما مر بيننا، وينحدر شلال أدمعي يلهب مقلتي ليفتضح أمري بين من يراني والسائرون بعالمي، وتزداد لوعتي ويفترسني البين ويمزق أضلعي وتتصارع دقات قلبي متسائلة إلى متى يظل طيفك هو همزة الوصل

إليك ؟ ومتى يجبرك الحنين إلي؟ .. أما آن أن يهتز قلبك لأنيني وتخبرك النسمات التي تمر بيننا بأن قلبي ما زال إلى الآن لا ينبض إلا باسمك وأن حضورك خالدًا يسري بمسرى دمائي.
وهنا نطق خالد محدثًا نفسه وهو ينظر في المرآة:

- وفاء.. مرت عشرة أعوام وها أنا لم يغيرني فراقنا شيئًا إلا شوقًا وحنينًا.

وكأنه يسمعها ترد عليه بأن حبه ما زال بقلبها رغم السنين، ورغم البُعد، ويرى طيفها يعانق كل واقعه ويبدو أن السنين لم تغير حبه لها ، وكان خالد دومًا متتبعًا لأخبارها بعد زواجها سواء من زميلتها وزوجة صديقه الشاهدان على حبهما الجريح، وحينما علم أنها أسمت ابنها تيمنًا باسمه أيقن حينها أنه باقٍ للأبد بقلبها .

وظلت حياة وفاء مظلمة مع زوج يأتي إليها مترنحًا كل صباح.. لا يدري شيئًا عن أولاده.. يعتقد أن المال يعوض عن كل شيء، يرتشف

لذائذ الدنيا بأمواله.. لا يفرِّق بين حلال وحرام، ونفرت وفاء حتى من الحديث معه إلى أن أتى إليها يومًا جثة هامدة جرّاء حادثة حدثت له وهو يقود سيارته تحت تأثير الخمر. أطلق هاتف خالد صفيره ، وكأنه يريد أن يعلن له عن شيء هام وكأنه يريد أن يصل ما قطعه الزمن من فراق مرغمًا عليه.. ترى أيجمع القدر بينهما أم يكون الفراق هو النصيب السائد لحبهما ؟.

نافذة الذكريات

أومأت برأسها من خلال نافذة السيارة ، وإذا بيديه تكون حاجبًا ، فأوحت إليه تجاهلها ، وتمايلت تستند وأغمضت عينيها توحي له بنومها ، وكأنها ترمي بكل حمول أشجانها على كفهِ ، وكأن يده وسادة ممتزجة بنسمة صيف عليل أو قطرة ندى تتساقط أو نغمة هادئة، وأغمضت عينيها ،وتمنت لو أن مسافة الوصول تطول فاقترب منها وهمس:

- حبيبة.

وسمعت نطق اسمها فطارت مع صوته تسابق المدى تتراقص كأنها فراشة تحلق في بستان يزهو بالرياحين وتتمنى أن ينطق مرة ثانية اسمها ولكنه صمت متأملًا لجمالها، وأغمض عينيه وطاف بها عاليًا يتراقصان بأشواق الصمت محلقين بَهو الأماني لمدينة أحلامهما سارقين أنفسهما من واقعهما وهنا قطع الصمت أنين

الحنين يوم أن افترقا منذ خمس سنوات، حينما كانت حبيبة تنتظر باسم في ذاك اليوم طالبًا يدها من أهلها بعد أن صرح لها بحبه أثناء عملهما سويًا بإحدى المؤسسات الحكومية وبعد أن علم بحسن أخلاقها وأن شيئًا ما يجذبه إليها أبلغت حبيبة والدتها والتي رحّبت بقدومه وأعطتها موعدًا وكانت تلك اللحظة هي الموعد.

أخذت حبيبة تتزين بأجمل الثياب وسمعت صوت خالها بالخارج فأسرعت تسلم عليه وتستقبله فهو الآن ولي أمرها بعد أن توفي والدها الذي لم يكن له أخوة أو أقارب منذ أكثر من عشر سنوات، فقام الخال بدور الأب مع حبيبة والأخ الحنون العطوف الذي خلقه الله ليكون عوضًا لكل شيء لوالدة حبيبة، دخل الخال فرحًا مسرورًا يحمل بيديه بعض علب الحلوى لأجل الضيوف القادمين ويردد:

- ألف مبروك يا قلب خالك.

أجابته حبيبة وهي تحتضنه:

- بارك الله فيك يا خالي.

وبدا الخجل على وجنتي حبيبة فأسرع خالها لمداعبتها موجهًا الكلام لأمها:

- الصغير كبر يا أم حبيبة.. تُرى من صاحب الحظ الذي استوطن ذاك القلب بهذا الحب الكبير؟

أكثر من عريس يتقدم منذ أن تخرجت من جامعتها وهي ترفض، وجه خالها بابتسامة سؤالًا مداعبًا حبيبة مرة أخري :

- هل كان زميلًا لك بالجامعة؟ انطقي يا بنت.

انصرفت حبيبة خجلة من خالها وهنا ابتسمت أم حبيبة وهي تجيب أخاها:

- تعالي هنا بجانبي.. انتظر معي سنعرف أنا وأنت كل شيء بعد قليل، هم على وشك الوصول.

خجلت كثيرًا حبيبة من مداعبة خالها لها

وتركتهم ودخلت تكمل زينتها، فانتهز الخال فرصة دخول حبيبة بالداخل وأخذ يتحدث مع أخته عن هذا العريس الوافد والذي لا يعلم شيئًا عنه سوي أنه زميل حبيبة بالعمل، سمعت أم حبيبة طرقًا خفيفًا بالباب فنهضت مسرعة لتفتح فقال لها أخوها:

- لا عليك أنا سأستقبلهم.. ادخلي أنت لتستعجلي حبيبة.

سمعت حبيبة صوت خالها وهو يرحب بالضيوف، فتهلل قلبها فرحًا وكاد أن يقفز من بين صدرها، تركت الأم حبيبة ودخلت لترحب بالضيوف ولأن «الدنيا ضيقة» مهما افترق الأحباب يومًا ما سيلتقيان، وكانت المفاجأة التي ستغير الأجواء علي غير ما يتوقعون، وتحطم كل الآمال التي كانت تتأهب للصعود اندهشت والدة حبيبة مما رأت فهذه هي جارتها سمية التي كانت تسكن بنفس المسكن منذ عشرين عامًا ويزيد.. نظرت إلى هذا الشاب وهي تتسائل بصمت هل هذا باسم بن سمية؟ أخذت تسأل نفسها وتحدق

إليه وهي متوجسة خيفة مما سيحدث والعجيب أن نفس الإحساس قد انتاب سمية فبعد التحية والسلام، استأذنت سمية سريعًا لوالدة حبيبة بأنها تريدها على انفراد ، ودخلتا الاثنتان إلى حجرة مجاورة والخال والأب يتعجبان مما يحدث وباسم ينظر لأمه في دهشة من أمرها.. جلستا تحدقان لبعضهما البعض.. بماذا يبدآن الحديث؟.. وإذا بوالدة حبيبة تكسر الصمت الذي دام بينهما داخل الحجرة بمفردهما ولا يعرفان من أين يبدآن فتقول :

- كيفك يا سمية؟ وكيف حالك؟ ومتي عدتم بعد سفركم للخليج؟

سمية :

- الحمد لله كلنا بخير رجعنا من عامين تقريبًا.

والدة حبيبة :

- حمد لله علي سلامتكم.

وهنا يتلصص سؤال حائر في نظرات عين سمية، فتجاوبها والدة حبيبة: - والد حبيبة لقي ربه بعد مرور خمس سنوات من سفركما.

سمية:

- البقاء لله يا أم حبيبة.

والدة حبيبة :

- لله البقاء الحمد لله رب العالمين.. مضت على وفاته أكثر من خمسة عشرة عامًا يا أم باسم.

وهنا صمت الاثنتان مرة أخرى وكأنهما يريدان أن يستفسرا عن شئ مهم ولكنهما يخافان من نتيجته..

قطع صمتهما صوت حبيبة وهي تدخل عليهما مبتسمة والسعادة تحلق بها عاليًا بالسماء فسلمت على والدة باسم وإذا بالوجوم بدا علي وجه أم باسم حيث سلمت عليها سلامًا فاترًا شعرت من خلاله حبيبة بضيق ووخز بصدرها

صاح الخال ينادي على حبيبة فخرجت مسرعة تلبي نداء خالها

وهنا أفصحت أم باسم عن مكنون ما خافت البوح به لأم حبيبة وهي تقول :

- أم حبيبة وما الحيلة فيما نعلم هذا شرع الله؟.. أنتكتم الأمر ونأثم ونترك أولادنا دون معرفة؟

وهنا وقبل أن تجيب والدة حبيبة بشيء دخلت حبيبة عليهما لتعلمهما بأن خالها يريد أمها ردت سمية على حبيبة وقالت:

- حسنا يا بنيتي سنخرج حالًا.

وخرج الجميع حيث يجلس باسم ووالده وخال حبيبة ودخلت حبيبة تعد القهوة قبل أن تسلم عليهما، وبعد مرور خمس دقائق سمعت حبيبة هدوء غير عاديًا وباب الشقة قبلها ينغلق وكأن أحدًا، خرج خرجت تتلصص لتعلم ما الخبر، فوجدت أمها تجلس حزينة شاردة ويبدو الوجوم على وجه خالها وحينما رآها، نهض مسرعًا نحو

الباب وهو يردد:

- لا يوجد نصيب يا أختي.. لا نعلم هذه إرادة الله لعله خير.

حينها أصابت الكلمات قلب حبيبة وهي لا تعلم ما السبب الذي حدث لكي يذهب باسم ووالديه بهذه السرعة، استحت أن تتكلم أثناء وجود خالها وانتظرت إلى أن ذهب وأخذت تتحدث مع أمها.

وعلي الجانب الآخر باسم ودموع الحسرة تنساب من عينيه وهو يقود السيارة والجميع صامتون لا يعلمون بماذا يتكلمون ؟.. ويحدث نفسه غير مصدق بهذه الأقدار الغريبة.

دخلت حبيبة حجرتها وهي تحدث نفسها لا تعلم ما الحيلة وما العمل وتردد :

- أهكذا ببساطة بعد أن أحببته، و هيأت نفسي بأن باسم سيكون زوجي وتعلق قلبي به ونبض فؤادي لحبه تأتي الليلة التي أنتظرها

لتفتح لي أبواب السعادة.. تأتي لتهدم آمالي بسبب ما فعله الأهل ويصبح أخي.

وتبكي، وتمر السنين ويتزوج باسم زواجًا تقليديًا لبناء أسرة له, وتتزوج حبيبة هي الأخرى وتنسدل الستار عن حبهما الذي حكم عليه بالبتر لاستحالة العلاج ويصبحان أخًا وأختًا مرغمين لذلك الواقع المفاجئ الذي هدم معه كل خططهما ويظلان بعملهما ذهابا وإيابًا، وهنا تفيق على صوت نداء يهاتفهما بأنه آخر محطة للوصول، فتنهد صمتهما آهات الآنين ليواصلا الحياة تكرارًا بين صباح ومساء وهم يطلون علي نافذة حبهما التي أغلقها القدر سريعًا.

صمت موجع

دونت حروف وحدتي علّها تؤنس عزلتي وفراغي وسمعت صدى صمتي ينازع مع الكون آهاتي ودروب أحلام على هاوية السقوط أراه من بعيد يتجاذب معي أطراف الحديث صمتًا.. أنطق الحنين وحرك فيّ الأنين لماضٍ ينتظر رياح الشوق كي تجذبه فيتراقص على سيمفونية الوداع فتتهادى معه العين عبرات الشوق تجري على ضفتي مقلتي ويغلق الجفن مستحضرًا ذاك الماضي الجميل.

سمعت هي طرقًا بباب منزلها فأسرعت كي ترى من الطارق، فإذا به ساعي البريد يعطيها مظروفًا بعلم الوصول، أغلقت الباب بعدما شكرت الساعي وأسرعت كي تعلم ما مضمون ذاك الخطاب وإذا بوجهها يتهلل فرحًا، فأسرعت كي توقظ زوجها كي يشاركها سعادتها وفرحتها..

هو: متى سيكون موعد سفرنا ؟

هي: مدوّن هنا أنه يجب علينا السفر خلال أسبوع.

هو :حسنا سنرتب كل شيءٍ .

هي: أخيرًا ما أخطط له سيحدث، إعادة أربع سنوات سنحقق فيها كل ما حلمنا به.

هو : ولكن لا تنسي أنني سأكون معك بدون عمل.. بنود العقد تنص على ذلك.

هي :أعلم ذلك.. ولكني لم أغفل عن الدور الذي ستقوم به مع أولادنا، فأنت تعلم أنني متعاقدة على إدارة توجيه، وأنني سأجوب محافظات المملكة السعودية كل يوم في كل مكان.

هو بنظرة تجاهل لما قالته أشار لها بأنه يريد الفطور..

وقبل مرور الشهر سافر الاثنان وأولادهما إلى بلاد الخليج.. بلاد جديدة في الطباع والمناخ وكل شئ.

ومرت السنون عامًا تلو العام وهي ما بين عملها الذي سرقها منهم خمسة أيام بالأسبوع، تعود إليهم كل خميس وتمكث معهم إلى السبت متحملة أعباء الأسرة من غسل وطبخ وترتيب وكأنها آلة لا تكل ولا تمل، وكانت تعمل كل ذلك بحب متفانية مخلصة لبيتها وأبنائها وزوجها.

وعلى الجانب الآخر زوجها، كل مهامه أن يوصّل الأبناء إلى مدارسهم ويقوم بتسخين الطعام الذي أعدته هي مسبقًا بالمبرّد على عدد أيام الأسبوع.. وتؤدي عملها كزوجة وأم دون إظهار لأي تعب يبدو واضحًا عليها بل تغلفه بابتسامة عريضة مملوءة بالرضا والسعادة، وانتهت سنوات التعاقد وعادوا إلى مصر، لكنهم لم يألفوا الحياة فى مصر لأنها لا تقارن بما كانوا يتمتعون به في المملكة العربية السعودية وخاصة لزوجها الذي كان مستمتع بكل مزايا رجل الأعمال الذي لا يعمل، ومستمتع بحياة رغيدة مرهفة متنعم بكل شيء دون تعب أو أي جهد، فطلب منها هو أن تجدد العقد مرة

أخرى وبالفعل قد كان وسافرا و اقتلعتهم الغربة عشرات السنوات، وهو لا «شغلة له ولا مشغلة».. سعيدًا بهذا الدور الذي يقوم به.. وهي تقبض راتبها ولا تملك منه سوى أشياء بسيطة تحتاجها.. كانت مثلما الساقية التي تدور ولا تقف، وهو يتولى جميع الأمور حتى شراء أي عقارات كانت دوما باسمه هي تعمل وتأتي بالراتب وهو يخطط لكل شيء.

وكان لابد من الغريب مهما طالت غربته بالرجوع كبر الأولاد وكان لابد من الرجوع لاستقرارهم وزاوجهم وقد أمّنت لهم الأم مستقبلهم من بيت وسيارة ومبلغ من المال يكون بداية لحياتهم ولأن الحياة لا تدوم ولأن دومًا تكون مغلفة بالمفاجآت ولأن دوام الحال من المحال، كان لابد يومًا من انفجار لكل مكبوت، وقع شجار بينها وبينه لأنها أرادت أن تساعد أخ لها ولأن جميع الأرصدة باسمه كان لابد أن يعلم زوجها، وحينما طلبت منه المبلغ رفض رفضًا قاطعًا أن يعطي لها أية مبالغ

متذرعًا بأن هذه الأموال ليس لها حق فيها، أذهلتها المفاجأة وشلت كل حواسها ولم تستطع أن ترد عليه بأي كلمة سوى بالصمت وكان كلما حدث معه خلاف مع أولاده ردد أنه صاحب فضل عليهم هو من خطط وفعل و فعل ناسيًا أمامهم دورها وما قامت به ولأن العمر لم يبقَ منه الكثير للفراق وتعديل دفته، مهما عصفت بهما الرياح لابد الآن من تجاوز تلك العاصفة و أيقنت أن الفراق إن لم يحدث فعليًا، فهو قد حدث شعورًا وإحساسًا وأدركت حينها مدى الأنانية التي ظهرت أو ربما هي من غضّت الطرف عن رؤيتها كل تلك الأعوام الفائتة كي تسير عجلة الحياة لأجل أولادها.

ومرت الحياة بينهما كئيبة باردة خالية من أي دفء، وفي يوم نطق ذاك الصمت بصوت حزين، سقطت أرضًا على إثر دوارٍ وألم شديد، شعرت به حضر أولادها بعد أن هاتفهم هو آمرًا إياهم بالحضور، وحينما علم أبناؤها بمرضها هبوا جميعا بجوارها ولأن المرض كان قد

استوطن جسدها، فكان لزامًا أن تخضع لإجراء بعض العمليات الجراحية وقد كان فى غياب لدور زوجها الأناني الذي نسى ما قدمته له ولأبنائه.. واليوم ها هي طريحة المرض حامدة مطمئنة راضية بنصيبها من الله وما كتبه، ولكن ما يحزنها دور زوجها الثانوي وتجاهله ما هي فيه واليوم يطعنها بطعنته الأخيرة لها و لأولادها معلنًا لهم بقراره الذي أظهر خسته ونذالته، أعلنها مدوية بأنه سيتزوج وكأنه بهذا القرار أثبت بجداره بأنه أناني سيتزوج بالمال التي تعبت علي مدار سنوات وسنوات من عمرها تكد وتعمل للحصول عليه، وهو منعم به وكأنها هي العبد الأجير عنده وهو السيد المطاع.. سمعت الخبر وهي تتوقع حدوثه من يوم أن أصيبت بمرضها تقبلت وهي راضية تناست أنانيته وغروره الزائف، صمتت عن كل شيء حتى العتاب صمتت عنه إلى أن أصبح الصمت خير رفيق لها.. هنا أصبح صمتها الموجع بديلًا مناسبًا للفراق.

الهاربة

نظر إليها ذاك العجوز الواهن وهي تتراقص أمامه مُظهرة لفاتنها في ثوب خليع وكأنها ترتديه ليكون قناعًا يوارى حزنًا دفينًا بداخلها وحياة مضت تختبئ خلفه منها، لتجعل منه أسوارًا عالية لا يستطع أحد تسلقها ومعرفة ما فيها.

أومأ ذاك المسن صاحب نقدية الدولارات إشارة إليها بالدنو ناحيته كي يلصق على صدرها تلك النقود الممتزجة برائحة النبيذ ويفوح منها العطر الذي غمره ليمحو رائحته العفنة ، ويطلب منها أن تقترب لينهشها بنظراته وكأنه ذئب يتحين فرصة ليفترسها أخذ ينفث بعض الأدخنة الصادرة من سيجارته العتيقة غالية الثمن ويشير إلى هذا العملاق الواقف بجانبه بحرسه وكأنه فيل ضخم أن يخلي صالة الرقص من الجمهور ليحظى هو منفردًا بهذا الجمال

والحُسن الذي حرك صباه وشبابه من جديد.

فأومأ ذاك المخلوق الواقف خلفه منحنيًا باستجابة مطلبه موحيا له بأنه شهريار عصره وزمانه، وعلي الجانب الآخر تتمايل صفية في انحناء حزين رغم تلك البسمة المصطنعة ونظرات عينيها الحائرة واشمئزاز لتلك الليلة التي ستقضيها مع ذلك العجوز العفن بأمواله.

ترقص على أنغام موسيقى الناي الحزين مع قرع الطبول الصاخب، وتهيم ويتساقط دمعها ولا أحد يلاحظه مع بسمتها المزيفة وتدور هنا وهناك وتدور بها الدنيا، فترتسم تلك اللحظات بينها وبين حبها الأول الذي كان سببًا في تواجدها هنا، وبينما هي تتمايل يسارًا ويمينًا.. تتهادي بحركات جسدها لإثارة هذا المفتون بها كي يقدّر ليلتها بثمن غال يضاهي ما تشعر به تجاهه من ضيق وحسرة، وإذا بها تسقط وتتهاوى أرضًا وصورة ذاك العجوز تتبدل بتلك الليلة السوداء التي حملتها أقدامها لهذا المصير البشع. وسكب الليل ظلامه في ليالي آخر الشهر حيث لا

قمر منير ولا هلال يهمس بضوء، قامت مسرعة حينما أيقظها صوت صفير القطار المار من أمام بيتها، ليعلن عن انتظاره لبضع الدقائق ليحمل على متنه المسافرين، تباطأت خطواتها ثقيلة تجر أذيال الخيبة لطريق لا تعلم إلى أين؟ .. ظلام مخيف في ليل شتاء يكثر فيه عواء الذئاب، تهرب بجنينها من موت محقق تاركة ورائها الفضيحة والعار، تسكب من الأنين كؤوسًا؛ تتجرعها بمرارة الندم، تنظر إلى والدها المسكين الذي تعدى سنه السبعين، وهو ملتف بعباءته محتضنًا معه عجزه وقلة حيلته لحياة أصبحت زوجته هي الآمر الناهي لها، فهي امرأة ذات جمال وحُسن ملحوظ .. في عقدها الرابع من عمرها تستكثر حُسنها على ذاك العجوز الذي أرغمت عليه، وأصبحت هي التي تخرج وتعمل بالتجارة تاركة إياه وكأنه فزاعة يحرس البيت في ثوب الضعف، وهوان شيخوخة أدركته منتظراً معها الموت على أريكته مع مذبّته يذبّ بها تلك الحشرات التي تتواجد عليه.

نظرت صفية إليه ، ودموع الحسرة والندم تعلو جبينها المنكسر على ثقتها في حبيب هتك ما بينها وبين الله من ستر، فقد سلمت له نفسها فى لحظة ضعف كانت فارقة في حياتها ما بين حياة وموت.. أخذ ما أخذه منها ونفر بعد ذلك حتى من الحديث معها، ففي عُرفه من سلمت نفسها بسهولة لا تستحق أن تكون زوجته و لا يوجد شيء اسمه حب.. من تفرط في شرفها لا تستحق إلا الموت ولا يجب على أحد أن يحترمها، ناسيًا أنه هو من غرر بها وأوقعها بكلامه المعسول الممتزج بالمكر والدهاء إلى أن أفاضت إليه وأن حرمانها أم ترشدها وتحنو عليها، وفراغًا عاطفيا ممتزجًا بقسوة زوجة أبيها كان دافعًا لها لترتمي في أحضان أول من يطرق بابها باسم الحب، حتى وإن كان زائفًا ، فهي لم تذق حلاوة الحب الحقيقي لتفرق بينهما، ونسي بل وتناسى أنهما في الجرم سواء وإن كان جرمه هو أشد ، فهو رجل بالغ راشد، وهي لازالت في سن لا تميز فيه الخبيث من الطيب.

تذكرت آخر لقاء بينهما حينما قال لها مجيبًا على تساؤلها:

- متي سنتزوج ؟

فرد قائلًا وكأن كلماته سوط يمزق أركانها:

- زواج؟!! من قال لك أني سأتزوجك ؟ من قال لك أنك بعدما سلمتي نفسك لي وحدث بيننا ما حدث.. لن أتشرف بك كي تكوني أمًا لأولادي.. ألا تعلمين أن العرق دساس؟ .. أنا أخذت غايتي منك، وأظن أنك أيضًا قضيتي ليلة جميلة.

وبسمة صفراء ومكر ممزوج بدهاء الثعالب أراد أن يجذبها نحوه ليعيد فعلته معها مرة أخرى، ولكنها صدته وتعالى رفضها بالصراخ، فكتم صوتها واضعًا يده علي فمها مهددًا إياها أنه إذا علم أحد بما جرى بينهما سيحرق بيتهم وأبيها، وكل مَن فيه.

صدمها واقعه الذي كان بالأمس القريب حبيبًا

واليوم في ثوب ثعلب فعل فعلته والآن يمكر بها ويهددها.

تركته مع ذاك المكان المعهود الذي شهد عدة لقاءات بينهما، ورحلت ومضت الأيام تلو الأيام إلى أن ظهرت عليها دناءته وفاحت فعلته في بطنها، واليوم رأته يهمس في أذن زوجة أبيها وكأنه يحكي لها ما فعله بابنة زوجها التي تريد أن تتخلص منها، وظهر لها ما خططا له، ووقعت المسكينة تحت هذا العفن وتلك الساقطة التي أرادت أن يخلو لها البيت مع ذاك العشيق، خافت وارتعبت وباتت نيتها على أن الرحيل هو الخلاص، وقفت شاردة أمام أبيها النائم وفتحت الباب مسرعة بعباءتها السوداء التي لا تظهر منها شيئًا، وخرجت لا تعلم إلى أين سيأخذها هذا القطار؟

أسرعت الخطى لتلحق بالعربة الأخيرة مع صفير القطار يدوي يريد إيقاظ النائم لكن خطواتها كانت أسرع من ذاك الصوت.

ألقت بنفسها على ذاك المقعد وأُسدلت عنها عباءتها لا إراديا ساقطة من على جسدها لتعلن عن ذاك العري الذي سيهيب حياتها الجديدة وهذا الفراق الدامي بين طُهرها وأبيها الميت حيًا وذكريات أمها الراحلة عنها وألم وأنين لحبيب صار عدوًا، وانحدرت دمعة من جفنيها تمزق أحشائها متلمسة بيدها هذا الكائن برحمها تتساءل بينها وبين نفسها ماذا سيكون مصيره، وإلى أين يأخذها هذا القطار.

نزلت من القطار لا تعلم إلى أين تتجه وإلى من تذهب؟ دخلت متاهة لا تعلم بدايتها من نهايتها لا مال معها ولا مأوي لا تعرف احد تتكأ عليه إذا مالت بها رياح ذاك الطريق لا أحد تستقر عنده يتلقفها من متاهة المدينة ، و شوارع القاهرة الكبيرة على عكس قرى الصعيد التي حضرت منها.

ليلة ويومان لم تذق فيهما شربة ماء أو قطعة خبز فتهاوت أرضًا، وإذا بسيارة كانت ترقبها من بعيد بعد سير على أقدامها صار لساعات

طويلة.. سيارة تترقب وتنتظر بها سيدة ورجل وها حانت لهما الفرصة وأخذها إلى المستشفى وتفقد جنينها الذي رفض أن يأتي لهذا المصير المجهول ويتتبعانها، بعدما خرجت من المستشفى.. عرضا عليها العمل لتنغمس في ضحالة الخطيئة، لتدفع ثمنًا غاليًا لذاك الفراق الذي أرغمت عليه هاربة من فضيحتها، لتقع في ذاك المستنقع العفن تاركة زوجة أبيها تنعم وتتلذذ في ثوب البراءة أمام مجتمع لا يعترف إلا بظواهر الأمور.

وتستمر حياة زوجة أبيها لا يعلم عنها أحد شيئًا، فقد أحكمت الخطة بالخداع ممتزجة ببرقع الخيانة والرذيلة بداخل ذاك البيت الخرب، ومازال أبوها يندب بتلك المذبّة تلك الحشرات الواقفة على وجهه، وتفيق صفية على صورة هذا العجوز المتصابي خالعًا رداء الحياء ويحاول أن يستمتع بجسدها مقابل ما دفعه لسيدها مسبقًا، فتنهال عليه ضربًا ليسقط صريعا على الأرض.. تبتسم ضاحكة بأعلى صوتها كأنها تثأر لنفسها

وكأنها أفاقت ما بين وجه أبيها الجالس على أريكته وهذا الواقف أمامها وتضحك بصوت عالٍ وتردد:

- أيها الموت ها أنا ذا.. احضر هنا لتخلصني من ذلك العذاب، فأنا مت فعليًا حينما أحببت ووثقت.

وينتهي مصير صفية في هذا السجن لا تجد من يدافع حتى عنها، وفي صباح اليوم يتقدم محمود المحامي الشاب الذي لا يتعدى سنه الخامسة والثلاثون إلي مأمور السجن بطلب مقابلة صفية لتولي الدفاع عنها، ويوافق على طلبه.. وتدخل صفية وتسأله:

- من وكلك عني كي تدافع عن قضية خاسرة من أول جلسة؟

فيرد محمود مجيبًا:

- الذي وكلني هو صاحبة الصورة.

ويناولها الصورة وتقع الصورة في يد صفية،

فتصعق حينما تجد صورة أمها هي التي أمامها ويشتد بكاؤها وهي تتسائل:

- من أين أتيت بهذه الصورة ؟.. إنها صورة أمي رحمة الله عليها

يجيب محمود قائلًا:

- ألم يخبرك أحد أن لك خالة هنا بالقاهرة؟

تجيب صفية مندهشة :

- خالة؟!.. لا أعلم شيئًا عن ذلك.. ومن تكون أنت ؟

هنا أجابها محمود:

- أنا ابن خالتك وعلمت بالحادثة من الجرائد وحينما قرأت الاسم بحثت عن أسماء العائلة التي كانت أمي رحمة الله عليها، تحتفظ بهم وبعض من الصور فوجدت صورة أمك التي تشبهك تمامًا يا صفية.

أجابت صفية:

- وماذا تريد مني الآن ؟.. أنا قتلت هذا الرجل العفن وسأنال عقوبتي التي يرى الله أنني أستحقها.

أمسك محمود يدها وقال :

- ستخرجين.. أنا من سيدافع عنك لن أتركك.. أنت الآن دمي وعرضي.

صاحت صفية فى وجه وقالت :

- أنت لا تعلم ماذا فعلت.. أنا أستحق الإعدام.. أنا لا أستحق دفاعك.. أنا بالفعل فعلت أشياء كثيرة يجب علي الآن أن أدفع ثمنها.

- اسمعني يا ابنة خالتي.. أنا وأنت ليس لنا أحد غير بعضنا البعض، أنا لن أتركك أعدك أنني سأحاول أن يكون حكمًا مخففًا دفاعًا عن النفس، وحينما تخرجين ستجدينني وبيتي بانتظارك.

ومرت الأيام وتكررت زيارات محمود لصفية وتعلق قلبها به، كانت تنتظر اللحظات التي يأتي إليها حاملًا معه كل ما تحتاجه، وجدت فيه

حنان الأخ واحتواء الأب ودب نبض حبه بقلبها لكنها أرادت ألا تستجيب له لأنها تعلم بأنه قد يحدث أن يحكم عليها بالموت رغم أنها وجدت الحب في نظرات عينيه إلا أنها خافت عليه ألم الفقد وكانت آخر زيارة له قبل جلسة النطق بالحكم بعد مرافعاته العديدة المتكررة، في أكثر من جلسة واليوم وكأنه أتى لوداعها، أتى حاملًا معه كل شيء وكأنه يريد أن يعترف لها بحبه قبل النطق بالحكم الذي كان متأكدًا بأنه سيكون حكمًا مخففًا أقصاه خمس سنوات إن لم تكن البراءة.

وفي أثناء حديثهما اعترف محمود قائلًا:

- صفية.. أنا أريد أن أعترف لك بشيء هام.

قاطعته صفية قائلة:

- لا أريد منك أي اعترافات تندم عليها يومًا ما.. أنا أيامي باتت معدودة في هذه الدنيا.

وأخذت تبكي، رأف قلب محمود بها قائلًا:

- لا تبكِ.. أنا بعون الله سأخرجك من هنا.. أعلم جيدًا أنكِ كنت ضحية ظروف حياة قاسية وصعبة، أنا متأكد يا صفية ببرائتك، ستخرجين ونبدأ حياتنا سويًا.

وأخرج من جيبه خاتمًا وألبسه إياه وردد:

- أتقبلين ابن خالتك زوجًا لكِ؟

فوجئت صفية بما حدث من محمود وانتابها إحساس ممزوج بالسعادة والحزن بالخوف والأمان وتسائلت..هل يمكن أن تضحك لها الأيام؟.. وتأتي السعادة التي حُرمت منها.

ومرت الأيام ثقيلة إلى أن أتى يوم تحديد مصيرها، وها هي صفية في ذاك القفص الحديدي تستمع لدفاع ابن خالتها عنها وبدا عليه تمكنه من مهنته وانتهي من مرافعته بانتظار القاضي للنطق بالحكم، واقترب إلى صفية ممسكًا يدها ونظرات حانية دبت معها حياة جديدة فيها.

قاطعها صوت الحاجب منبهًا لدخول القاضي وهو يقول:

- حكمت المحكمة حضوريًا على المتهمة : صفية على فتحي

وتنسدل الستار مع حكم القاضي وأعين الحاضرين وحياة جديدة لصفية ومحمود ووصول تلك الهاربة بقطار حياتها إلى بر الأمان.

وميض

جلست أمام تلك الشاشة منتظرة على موقع التواصل الاجتماعي المسمى بالفيس بوك وميض ذاك الضوء الأخضر الذي معه تحيا الدنيا وتزدهر تشعر حينما ينبعث نوره أمامها بدفء تفتقده حواسها ومشاعرها، فيسري في وجدانها وخيالها طيفه فيصور لها ذاك العالم الافتراضي بأنه حقيقة واقعية خلف تلك الشاشة، تتألم قلوب وتنخدع قلوب وتنجح قلوب في ارتداء أقنعة تحتال على بعضهم بالأحاسيس المصطنعة، وتنبهر قلوب بجمال تلك الأقنعة بل وتنجذب إليها وتدمنها رغم زيفها لأنها هي التي تستطيع أن تزيل مرارة واقعهم الأليم و تهرب معهم قلوبهم اليائسة التي تفتقد الحنان والاهتمام.

(متصل)..

كلمة تكتب على خلفية هذه الشاشة أحيانا فتصل معها الساعات بالساعات وتمر وكأنها

دقائق، تخدر الزمن وتوقف معها العقارب، فيحلو بينهما السهر، وتُسرق روحيهما ويثقُل جسديهما عن الحركة وأحيانًا تكون (غير متصل) فتشعرهم بالحيرة و تضيق بهم الدنيا حينما يصعب اللقاء إلا في عكسها من الكلمات.

أخذت نرمين ذاك «الماوس» وبدأت تحرك تلك الرسائل لتعيد أحداث غرامها في هذا المسمى (شات) وها هي تقرأ أعذب الكلمات التي تحرك جبال الشوق إليه، ترى هذا القلب الأحمر الذي أرسله إليها وتلك الشفاه التي توحي بالقُبل التي كلما رأتها تظهر على وجنتيها حمرة الخجل، وترى ردها عليه بوجه يخبئ وجه بيده دليلًا على خجلها منه.

أغمضت عينيها لتتذكر حلو حديثه حينما حدثها هاتفيًا يستغيث ونيران الشوق تقتله لسماع صوتها، وتذكرت حينما تستيقظ مسرعة لترى صفحته فإذا به ينشر الشوق قصائدًا إليها دون أن يسمى قصائده، فيكفيها أن تعلم من توقيعه في نهاية كل قصيدة.. إليكِ.... فتسعد وتغرد

البلابل في واحة خيالها كأنها تتراقص معه تحت زخات المطر، تهيم مع تلك الحروف وكأنها حقيقة وليست مجرد كلمات.. تتنهد تنهيدة المشتاق.. تتسائل أين ذهب؟.. تُرى ألم يشتاق لحرفي؟.. ألم يهمس صمت شوقي في ليلهِ؟.. ليجذبه الحنين ليضيء بهذه الأيقونة بالإشارة الخضراء، احتارت واحتار صمتها.. إلى أين تذهب لتسأل عنه وهي تعلم إن دوّن قلمها حرف بالسؤال عنه لأحد سيفتضح أمرها بحبها وشوقها إليه، تذهب إلى الأصدقاء المشتركين بينهما علّه دوّن لهم إعجابًا أو ترك عندهم تعليقًا، يروي بقطرة عطش شوقها إليه، ها هي صديقة بينهما وكانت مقربة منه.. تُري أتدري أين هو؟.. تسطر حروفا إليها، وتبعث كل تلك الكلمات بآهات الأنين والشوق ولكن سرعان ما تمحوها وتتردد في إرسالها، ترجع مرة أخرى إلى حديثه بهذا الركن الذي يشهد ميلاد حبهما وتقلب فى تلك الجمل المحملة بالأشواق إليها منه، والتي تترجم تلك المشاعر والأحاسيس بينهما ويستوقفها سرده عن حياته وبوحه

بكل أسراره إليها، وأنها تقبلته وتقبلت بوحه رغم أن له حياته الأسرية وأن واقعه مأسور بخمسة أطفال وزوجة وأنه يحبهم ولا يستطيع الابتعاد عنهم، ورغم ذلك ينجذب إليها ولم يستطع التخلي عنها وأنه يحبها حبًا جمًا، تنهدت بأنين رجع مسامعها مع ذاك الكون الصامت، وهي تتذكر كيف أخفت عنه حقيقتها، ومع ذلك تقبل حبه بل وعشقته لصراحته معها ولكن أين ذهب؟ يوم بليلة وهذا الشات لا ينطق.. أخذتها الحيرة وتاهت في دروب القلق واطفأت الجهاز، وذهبت لكي تحاول أن تنام.. تضغط على كرسيها لينقلها تلك الخطوات إلى سريرها، يصعب عليها المرور وكأن الخطوات تحتاج إلى دهرٍ كاملٍ لعبورها، تتراجع في سيرها وهي تسمع أذان الفجر ويهدم قلبها بتلك الدقات السريعة وينقبض فؤادها وتنحدر دمعة تشق طريق حزن بادٍ على الأبواب، أخذت وضعها لتصلي وهي ملقاة على كرسيها المتحرك لتؤدي صلاة الفجر وتدعو الله أن يطمئن حيرتها عليه، وما أن انتهت بالصلاة والدعاء طالبة من الله

أن يهدي قلبها لأنه ملاذها في دنيا تخلو من الأحباب، وشُلت فيها كل الأحاسيس لم يبقَ منهم إلا شفقة ممزوجة بعطف مفروض، وهو الوحيد الذي أحبها بصدق ولا تعلم ترى لو علم بهذا المصير ماذا سيكون رد فعله.. أيهرب حتى من السؤال عليها أم سيظل بجوارها رفيقًا حنونًا.

هي لا تقيده بوعد ولا ترغمه بشيء فهي تعلم واقعها جيدًا، وتعلم أنه رب أسرة وله حياته ولكنها تحبه حبًا خاليًا من أي إلتزامات ولا تعلم إن كان طريقها هذا صحيحًا أم خطأ ولكنها رفعت أكفها إلى ربها ليهدي بالها ويرحمها من هذا الأنين والحنين الموجع.

رجعت مرة أخرى لتلك الشاشة الحاجبة عنها أخباره وأخذت تدوّن منشورات أدعية وصباحات توحي لمن يقرأها بالأمل لصباح يوم جديد، وها هو قد نطق الكون بتلك الصاعقة التي لا تعلم أحقيقة أم هراء.. تتلعثم حركاتها وتقف برهة وكأنها دهور من الزمن غير مصدقة، فهذا نعيه من بعض أصدقائه يعلن

عن وفاته بحادث قبل فجر اليوم بدقائق تنحدر الدموع من عينيها أنهارًا كي تغرق في أحزانها، تتسائل أكانت هذه النبضة وقبضة صدري حينها هي موتك، وتنهار في صمت أحزانها وفراق لم تكتمل بدايته مع حب افتراضي مع تلك الكلمات والحروف مات هو وانتهى ذاك الضوء الأخضر من صفحته وتغلق نرمين تلك الشاشة لأجل غير مسمى وتستسلم لأحزانها.. وتستجدي طيفه في منامها علّه يخبرها بحاله وفي ليلة إذا بها تنام ودمعها يشق وجنتيها بحرارة شوقها إليه ويخطفها النوم وتراه وكأنه أمامها يحمل باقات الورود ويبتسم في أحلى هيئة له ويطلب منها أن تبتسم بإشارة منه أنه مازال بجوارها.. يعلم ما بها من حزن ويطلب منها أن تبتسم ليعود إليها، وتفتح عينيها مرة أخرى تتأمل حجرتها التي تسكنها الوحدة وباب شقتها الذي لا يطرقه أحد إلا تلك السيدة التي تحضر إليها يومًا بعد يوم، لتنظف البيت وتعد لها طعامها وتشتري احتياجاتها من الخارج، وهدوء قاتل مع سنها الذي تجاوز الأربعين ومرض

أنهكها وأعجز قدميها عن الحركة وأثر على فرصها للزواج نظراً لحالتها الصحية، تأملت حالها وحزن دفين يسري بعروقها وتمضي الأيام وتمر متثاقلة ما بين كتاب تتصفحه وقنوات بالتلفاز تتركها وتنام لتعطي صوتًا بالشقة يؤنسها مرة أخرى وتستيقظ مبتسمه بإحساس ممزوج برضا وتسرع إلى تلك الشاشة، وتسرع لتبحث عن وميض آخر علها تجد من يؤنس وحدتها ويهتم لأمرها.. علها تجد حبيبًا آخر.

وماذا بعد الفراق ؟

وقف أشرف ومنى ينظران من خلف الجدار الزجاجي وهما يشاهدان هذا الطفل الجميل داخل تلك الحجرة المسماة بالحضانة وهو يجاهد مع هذه الأجهزة التي يتعلق بها من كل جانب ويتحرك يمينًا ويسارًا بقدميه ويديه الصغيرتان وكأنه يصارع هذه الحياة الجديدة الضيقة رغم اتساعها، واشتياقه لرحم أمه الذي كان متسعًا على ضيق حجمه إلا أنه كان يشعر بالراحة والأمان مع دقات ونبضات قلبها الحنون.

وضع أشرف يده على كتف منى وضمها إليه بحنان بينما هي تنظر إلى الطفل الجميل وأغمضت عينيها حيث ذاك المشهد حينما كانت في وداع صديقتها وكأنها تريد أن توقف عقارب الزمن لهذه اللحظات، نظرت إلى منال وهي تردد:

- سأفتقدك كثيرًا يا منال.

وإذ بدمعة تنحدر من عين منال تحاول إخفائها

بابتسامة مصطنعة توحي بها لصديقتها منى وتردد:

- وأنا كذلك سأفتقدك كثيرًا ولكني سأتصل بك يوميًا وأحكي لك كل شيء كما لو كنا هنا بجوار بعض.

فقد كانت منى ومنال صديقتَان منذ سنوات الدراسة سويًا وفترة الجامعة، وكانتا من بلدة واحدة فكان من يراهما يستشعر أنهما توأمان وكأن صداقتهما قد أضافت بريقًا مشابهًا لبعضهما البعض، وتزوجت منال وكان زوجها يعمل مدرسًا ويقدر ويحترم تلك الصداقة التي كانت بين زوجته وصديقتها بل وخلقت صداقة جديدة بينه وبين زوج منى.

وسافرت منى وأشرف مودعين منال وزوجها بابتسامة حانية على أمل اللقاء القريب، فقد تزوجت منى قبل منال بعام ولم ترزق منى هي وزوجها بأطفال رغم أنه لا توجد أي موانع تعوق عملية الإنجاب، ورغم حنينهما للأطفال

واشتياقهما إلا أنهما كانا صابرين محتسبين راضيين بقدر الله وقضاءه، ومر على زواجهما ثلاثة أعوام وكان للتشابه العجيب بين منال ومنى في مسألة الإنجاب أمرًا عجيبًا فبعد زواج منال أيضًا تأخرت فترة الإنجاب لديها عامان مما جعل حلمهما سويًا هو الإنجاب.

وفي يوم دق هاتف منى فإذا بمنال تحادثها بأنها سوف تذهب للطبيب وتقوم بإجراء بعض التحاليل لأنه بدت هناك بادرة أمل بموضوع الإنجاب، فرحت كثيرًا منى لهذا الأمر كما لو كانت هي وليست صديقتها وأسرعت، ترد فتجاذبا الحديث فقالت لها منال :

- أنا خائفة جدًا يا منى من أن تكون النتائج سلبية ،وأنت تعلمين زوجي ووالده مشتاقين جدًا لطفل.

منى ترد بحنان الصديقة المتزج بالأخوة:

- لا تخافي سيبشرك الطبيب إن شاء الله بقدوم أول ضيف وسيأتينا بباقي الضيوف.

طمأنت منى منال ودعت الله أن يرزقها كي يهدأ بال زوجها ووالده عليها، وما أن أتى الليل إلا ونطق صمته هاتف منى ببشري منال تخبرها بأنه استجاب الله دعائها.

فرحت منى كثيرًا كما لو أنها هي التي حملت وليست صديقتها، ومرت الشهور ورجعت منى إلى مصر رجوعًا نهائيًا، فقد أنهى زوجها حسن فترة تعاقده ورجع إلى عمله وعيادته.

و قَرُبَ موعد ولادة منال ففرحت منى كثيرًا لأنها ستكون مع صديقتها أثناء الولادة تشاركها اللحظة أولًا بأول، ولأن منال كانت يتيمة الأم والأب وليس لها أخوات، فكانت منال لها بمثابة الأم في حنانها والأخت في رعايتها واهتمامها، وكانت منى هي المسئول عن مشتريات ذاك الضيف العزيز ومنال مسرورة وسعيدة لذلك، وفي الأيام الأخيرة كانا يذهبان سويًا لشراء كل شيء، ويسترجعان بذاكرتهما أيام الدراسة الجميلة وذهابهما ورَواحهما سويًا كل يوم، وكانوا كلما مرا بمكان تنهدا تنهيدة حنين

لتلك الفترة الجميلة بحياتيهما وكأن القدر يخبئ مفاجآت بجعبته لهما.

انتصف ليل هذه الليلة الباردة التي يكثر فيها الضباب وتشتد فيها الرياح ويُسمع أزيزه وكأنه جريح يتألم وبينما منى نائمة وإذا بالهاتف يزعج نومها، فتنتفض مسرعة تلتقطه وإذا بصراخ منال وبكائها تستغيث بصديقتها تشتكي ألم المخاض وتسرع منى لتوقظ زوجها أشرف لينذهبا إليها.. أحست منى بقبضة بقلبها لا تعلم أهو خوف على صديقة عمرها أم أن شيئا غير مبشر سيحدث، وصلت إلى المستشفى وتعانقا عناقًا ممزوجًا باللهفة والخوف والرجاء.

ودّعت منى منال قائلة لها:

- ستكونين بخير يا حبيبتي إن شاء الله.

ردت منال :

- منى إن لم يكتب الله لي السلامة أوصيك بطفلي لا تجعلي أحد يربيه ويعتني به غيرك

هو وصيتي لك.

أحست منى بثقل العهد وخافت عليها وارتابت من كلام منال من أن يصيبها مكروه، لكنها تماسكت، وتحجرت الدموع فى عينيها أمامها كي لا تشعرها بخوفها عليها ومرت تلك الفترة على منى ثقيلة وكأن عقارب الزمن تعطلت عن الدوران وسمعت منى بكاءً سعيدًا، هكذا اختارت منى ومنال ذاك الاسم مستبشرين بأن تكون حياته سعيدة، وطمأنت الطبيب المشرف على ولادة منال زوج منى حينما أسرع إليه يستفسر عن حالة منال هو وزوج منال ومنى بأنها بخير ولكن الطفل يحتاج المكوث بالحاضنة لضعف حجمه على الأقل لخمسة أيام تحت الرعاية، وخرجت منال من غرفة العمليات وفرح الجميع وسعدت منى لخروجها وظلت معها ليومين إلى أن كتب لهم الطبيب خروجًا، وظل سعيد بالمستشفى تحت الرعاية والاهتمام.

وفي اليوم المراد لخروج الطفل هاتفت منال منى وهي سعيدة قائلة:

- منى سنذهب لإحضار سعيد الآن.. هل ستأتين معانا؟

ردت منى:

- حبيبتي اذهبوا أنتم لأن أشرف خرج لحالة طارئة، وحينما يرجع سنلحق بكم إن شاء الله.

أنهت منى حديثها مع منال ثم قامت لتجهيز نفسها كي تكون متأهبة للخروج حينما يصل أشرف وما هي إلا دقائق و حضر أشرف.

قابلته أمام البيت وهو بسيارته وذهبا سريعًا إليهم، وإذا بالطريق ازدحام غير عادي بسبب حادثة مروعة بين سيارة ملاكي وشاحنة نقل كبيرة، قام أشرف بالوقوف والتنحي بجانب الطريق بسيارته، وذهب كونه طبيبًا ليرى المصابين والإطلاع عليهم وإنقاذهم حتى تأتي سيارة الإسعاف و ذهبت معه منى واقتربا، وكانت الصاعقة التي شلت ركانيهما وزلزلت كيانهما، فمصابو الحادث لم يكونوا سوى منال وزوجها ووالده وقد فاضت روح الوالد وزوج

منال في حينه، ومنال فى النزع الأخير، أسرعت إليها منى تصرخ وتبكي منال وأخذتها بحضنها. أفاقت منال لدقائق معدودة حينما سمعت صوت منى وقالت لها بصوت متقطع :

- سعيد وصيتي لك.. أرجوك عديني بذلك.

أجابتها منى بدمع عينيها وقالت:

- هو في عيني.

ولم تكمل منى جملتها حتى لفظت منال أنفاسها الأخيرة وفاضت روحها إلى بارئها وظلت منى تبكي وتصرخ.

أفاقت منى وهي تنظر لذاك الطفل الشقي الذي لم يمتلك من اسمه شيئًا.. رددت منى:

- سعيد.. هكذا اسمه .. سعيد.. أيكون سعيدًا حقًا بلا أب وأم.. من أين ستأتي لك السعادة يا بني؟ وقد أصبحت يتيمًا ولا أحد لك.

ضمها أشرف إليه وهما يبكيان سويًا لفقد أعزاء على قلبيهما، وتسقط منى ويلتقفها

أشرف بين ذراعيه وإذا بسعيد يبكي ويصرخ وتزيد أنّاته وهنا تصمت منى عن البكاء وتنتصب واقفة تنظر إلى ذاك الطفل المسكين الذي وُلد وحيدًا.. تُرى ماذا ستفعل به الأيام؟

أخذت منى الطفل في أحضانها وهي تضم قلبه لقلبها وتتعجب من مشيئة القدر.. ابن بلا أم وأب، وهي وزوجها كل رجائهما في الله أن يرزقهما بطفل وكأن الله ساق إليها هذا الطفل ورتب لهذه الصداقة لأجلها.. سبحان من ينظم هذا الكون وفقًا لحكمته هو وتدابيره هو سبحان الملك.

وصلت منى لبيتها هي وزوجها وثالثهما هذا اليتيم، وكأن الله قذف في قلبيهما محبته منذ لحظة دخوله بيتهما، جلست تنظر إليه وإلى كفيه الصغيرين وعينيه البراقة الجميلة، وفي لحظة أمسك الطفل لا إراديا إصبع منى، فسرت في جسدها حرارة الأمومة التي تدفقت في ثدييها، ثم ضمته وبكت بكاءً المحروم القانع الراضي وإذا بحليب في صدرها يتدفق وذلك لأنها كانت دومًا

تتعاطى أدوية للإنجاب، فربما تلك الأدوية التي كانت سببًا أيضًا، لتدفق ذاك الحليب بصدرها وهذه هي عناية الله بالوليد، يجعل العقيم أمًا وتدر لبنًا لطفل ليس ابنها ولكنها الأمومة التي مع إرادة الله تتحقق بها المعجزات.

تعجبت منى لذلك الأمر، وإذا بالطفل يبكي بكاء الابن لأمه وهي تبكي معه ولا تعلم كيف لها أن تتصرف إلى أن يأتي زوجها بغذاء الطفل من المستشفى، فقد نسيت الممرضة إعطائهما الحليب.

اضطر أشرف بعد أن أوصلها هى والطفل للرجوع مرة أخرى، وبدافع الأمومة التي شعرت بها أثناء بكاء الطفل وبوخز أحست به في ثديها قامت بإرضاعه.. أرضعته وهي لا تعلم أصواب ما تقوم به أم خطأ، قام الطفل بإلتقام صدرها بشراهة وهي تتعجب مما يحدث و لا تعلم إذا كان بالفعل هو لبن حقيقي أم هو حنين جارف لها، وبدأ الطفل يستطعم لبن أمه الجديدة وهو هادئ هانئ وكأنها أولى لحظات

السعادة التي اقتسمها مع أمه منى ونام الطفل وهي تنظر إليه وتتعجب لقدرة الله وللغذاء الذي ساقه الله فى صدرها له.

دخل أشرف ورأى ذاك المنظر، فوقف مندهشًا للأمر ويشاهد هذه القدرة العجيبة، ومرت الأيام هانئة بهذا الطفل الذي ملأ الكون سعادة لمنى وزوجها، وبعد مرور شهر، هاتف محامي أسرة زوج منال أشرف كي يتمم عملية إعلان الوراثة ويعلن الوصاية على الطفل، ويرتب المحامي كل الأوراق التي تثبت حق الطفل في ميراث أبيه وأمه والذي كان هو الوريث الوحيد لهما، وأصبح أشرف زوج منى هو الحارس عليه، و مرت الشهور ومنى تعطي سعيد كل اهتمامها حتى أنها كانت تهمل زوجها أشرف، ورغم ذلك كان الاثنان سعيدين بوجود ذاك الطفل الذي تزيد مكانته بقلبيهما يومًا بعد يوم، وفي ليلة من الليالي كانت منى تعاني من حمى حادة وكانت حرارتها مرتفعة جدًا، فقامت من نومها على إثر بكاء سعيد،

فانتفضت مسرعة له وضمته في حنان رغم مرضها وجلست ترضعه وإذا بالطفل ينظر إليها ويبتسم مرددًا:

- مم.

ورد ثانية:

- مم.

وكأنه يلفت انتباهها أو أنه يود مسح ذاك المرض عنها، فابتسمت وهي تبكي.. مم، مم.. وقبلت يده في سعادة غامرة وأخذته في أحضانها ونامت، وإذا بها تهل عليها مناك وتنادي عليها وهي تلبس فستانها الأبيض وتحمل بيدها بعض زهور الياسمين وتبتسم وتنثر تلك الزهور عليها، وحينما رأتها منى فرحت كثيرًا وأسرعت إليها لكن الواقع أسدل ستائره ليقطع هذا الاتصال الروحي بينهما.

ومرت الأيام والسنون سريعة ومنى سعيدة بتلك الحياة الجديدة وهذا الابن الذي عوضها

هذا الإحساس الجميل إحساس الأمومة التي حرمت منه ، وملأ سعيد حياتها وحياة زوجها وجعل لحياتهما هدف سام يسعان لأجله، فبعد فراق صديقتها كانت كلما نظرت إلى سعيد بملامح أمه منال تغمض عينيها علها ترى صورتها في مخيلتها.

كبر سعيد وربته منى أفضل تربية، وقامت برعايته على أكمل وجه، ولم تخفِ عليه حادثة أمه وحقيقة قربها له، فكانت تخصص ركنًا بغرفته به كل صور عائلته الحقيقة وتقوم كل فترة بالحديث عنهم له، وفي يوم وقفت منى وهي ترتدي أجمل ثيابها أمام المرآة فإذا بصورة منال بمخيلتها، وكأنها تشكرها لتمام رسالتها مع ابنها ,وهنا سمعت منى سعيد يحادثها ويريد استشاراتها في أي لون من القمصان، يرتدي تحت بذلته الرمادية وهذا لحضور حفل تخرجه طبيبًا مثل والده أشرف.

قبّل سعيد يد أمه وهو فرح ويطلب منها أن تسرع كي يذهبا معًا لأن أحلام خطيبته في

انتظاره، رجع سعيد مرة أخرى وقبل جبين أمه.. تبسمت له منى وردت:

- هيا يا دكتور سنتأخر على الحفل أنا جاهزة

فرد سعيد:

- وها أنا جاهز يا أمي يا ست الحبايب.

ودخل عليهم أشرف وهو يردد:

- ما هذا الذي أراه؟.. الدكتور لم يجهز بعد.

تبسم سعيد وقال:

- لا لا حالًا سأجهز.. سأربط رباط عنقي فقط.

تبسم سعيد وقال:

- هنيئًا لك يا والدي بهذا القمر الذي يتم حياتنا نورًا.

تبسمت منى وقالت:

- اليوم هو يوم سعادتنا جميعا مبارك عليك يا بني.. كنت أتمني أن تكون أمك منال على قيد الحياة حتي تري تفوقك وتسعد بخطيبتك.

رد أشرف مبتسمًا لها قائلًا:

- هما الآن حاضرين معنا بروحيهما رحمة الله عليهم جميعًا.. هيا يا بني سنتأخر، هلما بنا نذهب.

وذهب الجميع في سعادة إلى الحفل، وهنا يولد من رحم الحزن الفرح، ومن الموت تولد الحياة، وقد يولد من اليأس الأمل ومن الشدة ينبعث الانفراج.

شجار

أخذ يبتعد ويجري و يلهث دون أن ينظر للوراء، وكاد الرعب أن يقتله إلى أن وجد نفسه بعيدًا عن محيط قريته وظن أنه هرب و نجا، وهنا لاحظ ذاك السلاح الذي كان ممسكًا به جيدًا ملطخًا بالدماء.

التقط أنفاسه وكأن غيبوبة أوقعته في غياهب ما فعله، بدأ يسترجع تلك السويعات القلائل الماضية ماذا حدث؟ وماذا سيفعل؟ وهل مات حمدان؟ وماذا سيحدث له بعد تلك المصيبة التي قام بفعلها؟

وبدأ يعيش تلك اللحظة حينما تشاجرا سويًا أثناء تعاطيهما تلك المواد المخدرة التي أذهبت عقليهما عن واقع كان قبلهما جميل , حينما كان في مرحلة الثانوية العامة هو وصديقه أيمن يذاكران ويدرسان وإذا بهذا الماكر يدخل حياتهما ويقلبها رأسًا على عقب.

كان سليم شابًا خجولًا إنطوائيًا ، نادرًا ما يخرج من بيته، و دومًا يتجنب الأحاديث مع الكل سوى صديقه وزميله أيمن، وذلك بسبب فقده أباه.. فقد توفى والده وهو بسن الثامنة من عمره، ولم تنجب أمه سواه، عندما مات والده كانت أمه صغيرة السن لأن من عادات القرية تزويج البنات مبكرًا، لم تستطع أن تكرس حياتها من أجل ولدها، فكان حكم والدها حكمًا صارمًا حيث اتفق مع أول طالب لخطبتها، بعد مرور عدتها دون أن يهتم لرأيها.. بُحّ صوتها بالرفض لكن لا حياة لأصوات الضعفاء.

تزوجت من رجل شبيه أباها في التسلط والاستبداد وعاشت معه حياة بائسة يائسة أنجبت منه ثلاث أولاد وكان دومًا التمييز منه لأولاده دون مراعاة ذلك اليتيم المسكين الذي كان دائم الانعزال عنهم وعن إخوته، فكانت حياته مغلقة على كتبه ودراسته إلى أن وصل للمرحلة الثانوية.

وفي ليلة من ليالي الشتاء الطويل دخل

حمدان عليه هو وزميله أيمن حينما كانا يذاكران ببيت سليم بحجرة منعزلة ولها باب خارجي عن البيت ومن المعروف أن حمدان لا يهتم لدراسته ولا يكترث بأي جهد فيها، فكان يستغفل والديه ويحصل على الأموال بحجة الدروس وكان يشتري بها أغلى ماركات السجائر ويفتخر بها أمام زملائه، وكان أمثال سليم وأيمن معجبان بحمدان لما له من قدرة على فعل تلك الأشياء التي يظنان استحالة فعلها منهما، دخل عليهما ومعه بعض أكياس الحلوى ورقائق البطاطس، وكأنه يوحي إليهما أنهما مازالا صغيرين بالنسبة له رغم أنهم في ذات السن، أخرج لفافة السجائر من جيبه وأشعل سيجارته واقترب من أيمن لينفس بعض الأدخنة بوجه ويبتسم ويردد:

- ما ازلتما أطفالا هذا ما تستحقونه.

وصاح ضاحكًا بصوت عالٍ لجذب انتباههما وهنا استشاط أيمن غضبًا وقال:

- ابتعد عنا وخذ ما جلبته معك واتركنا لحالنا ولا تضيع وقتك مع هؤلاء الأطفال الصغار.

اقترب حمدان من أيمن قائلًا:
- هل ما سمعته صحيح؟ أنت تطردني من هذا المكان الذي لا أمر لك فيه؟

وأمسك به من كتفه وجذبه إليه ولأن أيمن كان نحيف الجسم رهب الموقف وخاف من هذا الشرير لولا تدخل سليم قائلًا:
- مهلا على رسلكما أنتما الاثنان، إذا سمع زوج أمي صوتكما العالي هذا ستكون ليلة سوداء على رأسي، إذا كنتما تريدان الشجار فاخرجا بعيدًا عن هنا وافعلا ما يحلو لكما.

أفرغ حمدان كل قوته بدفع أيمن وسليم وتركهما ورحل، وهو يبيّت في نفسه شيئًا ماكرا لهما.

حذّر سليم صديقه أيمن قائلًا:
- يجب أن نبتعد تمامًا عن حمدان.. إنه يكنّ لنا الكره والبغض.. أسمعتني يا أيمن؟

طأطأ أيمن رأسه وردد:
- نحن لم نذهب إليه هو الذي يأتي إلينا..
ماذا نفعل له؟ هو يعلم إننا لا نريده ومع ذلك يتمادى في غطرسته وبروده.

بدا على وجه سليم الحيرة والقلق فهو لا يحب المشاكل ولا يحب أن يجرّه أحد إليها فإن زوج أمه مستبد لا يرحم، وكلماته كأنها خناجر ترتشق بكل جسده وهو يحاول جاهدا أن يبتعد عن مواجهته في أي شيء بل ويتلاشى حتى الحضور معه على مائدة الطعام.

ومرت الأيام وأنهى الصديقان دراستهما بمرحلة الثانوية ورسب حمدان في هذه السنة وزاد سخط والديه عليه، وزاد هو من حقده على سليم وأيمن واتجه إلي طريق الفساد والمخدرات، وكان دائمًا ما يهابه الناس خوفًا من سوء أخلاقه وعدم احترامه للغير خاصة وأن له رفقة سوء تزيد من سوء خلقه، فكان يقف معهم على قارعة الطريق ينتظر سليم وأيمن أثناء عودتهما سويًا من الجامعة ليحتك

بهما، وكان دومًا سليم يقتصر كل مناقشة بين حمدان وأيمن رغم حدتها ويفض النزاع بينه وبين حمدان إلى أن وصل الأمر بينهم كأنه ثأر يريد كل واحد منهما النيل به.

وفي يوم جلس حمدان مع شباب يشبهونه، هؤلاء الفاسدون الذين يتعاطون المخدرات بل ويتاجرون فيها وكانت المقابلة بوكر مهجور يشعلون فيه نارًا ويجلسون بعيدًا، يخططون فيه كيف يروجون لتجارتهم دون أن يشعر بهم أحد ولا يعلمون أن رائحتهم قد فاحت بالقرية والكل يعلم بما يفعلون، لكنه الخوف من بطشهم وعنفوانهم هو الذي جعل الناس ينفرون حتى من فضحهم، ويسلكون ذاك المسلك السلبي الضعيف معهم.

أخرج حمدان مكنون قلبه من حقد وبغض لأيمن أمام هؤلاء وما كان منهم إلا أنهم اتفقوا معه أن يجروا قدميه لتعاطي المخدرات، ولكن كانت دهشة حمدان كبيرة من تلك الفكرة التي لم تخطر له على بال وقال في دهشة ممزوجة

بالتعجب:

- وكيف سيقع وما هي الطريقة التي يتم بها ذلك؟

رد أحد أقرانه:

- اترك هذا الأمر لي فأنا كفيل به.

وارتفعت أصواتهم بالضحكات العالية مع كمية كبيرة من الأدخنة المتصاعدة حولهم وافترق وكل منهم يدبر برأسه مكيدة ويضع خططه للإيقاع بهذا الشاب المسكين.

وفي صباح اليوم الموعود اتفق أحد أصدقاء حمدان مع زميل لأيمن كي يستضيف أيمن عنده بحجة أنه يدعوه لتناول العشاء سويًا وبالفعل قبل أيمن دعوة زميله ولأن أيمن كان فقيرًا معدمًا يعيش مع أبيه وإخوته حياة بؤس وشقاء، فكان فى العطلة الصيفية يعمل أجيرًا مع والده فى تلك المزارع، وأثناء الدراسة كان والده يتحمل أكثر من عمل كي يوفر له ولإخوته

قوتهم اليومي، وكان أيمن يقضي معظم وقته مع سليم سواء كان بالدراسة أو بالبيت ويتبادل الملابس مع سليم الذي لا يمنع عنه أي شيء لأنه يعلم شدة فقره وكان يحبه جدًا ويعطف عليه. كان أيمن يعمل هو ووالده عند زوج أم سليم وأيمن يعلم جيدًا مدة طباعه مع سليم الذي كان يبغض هذا الرجل، لذلك ذهب أيمن لدعوة زميله متحينا فرصة لتناول ما لذ وطاب أثناء استضافته ولا يعلم ما يُحاك له، كانت بداية خطتهم الملعونة حيث وضعوا له بعض الحبوب المخدرة بكوب الشاي وحينما تركهم سليم كان يشعر بسعادة لا يعلم سببها حيث أنه كان يري كل شيء جميلًا وأثناء رجوعه للبيت قابل بطريقه حمدان، فأوقفه وسلم عليه حمدان يريد أن يطويه تحت جناحيه وبالفعل بلع المسكين الطعم، وكانت تلك بداية طريق اللاعودة، بدأ أيمن يعتاد كوب الشاي من يد زميله ولا يعلم ما بداخله، وفي يوم اشتد به ألم برأسه وأقعده طريح الفراش، ولم يذهب إلى جامعته واتصل هاتفيا عليه سليم يستفسر عن

سبب غيابه فرد أيمن:

- أنا مريض يا سليم.. ثمة ألم برأسي لا يغادرني لا أعلم سببًا له.

رد عليه سليم قائلًا:

- لابأس يا صديقي شفاك الله وعفاك سأمر عليك لكي أطمئن عليك وأعطيك المحاضرات التي تخلفت عن حضورها.

وكان لأيمن أخت تصغره بعامين وكان سليم منجذبًا لها وهي تبادله هذا الانجذاب بنظرات العينين وابتسامة يهيم لها قلب سليم وجدًا حينما يراها، فقرر أن يذهب ليطمئن عليه، ويري محبوبته التي يكتفي في عشقه لها بتلك النظرات الصامتة.

أغلق أيمن الهاتف وسمع أحدهم ينادي بالباب فقام ليري مَن فوجده حمدان فقال له مجبرًا :
- أهلًا بك.. تفضل.

أدخله حجرته وأغلق الباب كي لا يري أخته

تمر بطرقات البيت، فقد كان أيمن يغار جدًا على أخته خاصة من هذا الذي أتي إليه زائرًا على غير موعد، ولا يعلم أيمن لماذا حضر إليه وما سبب تلك الزيارة ؟

فرد عليه حمدان:

- ما بك يا أيمن أراك متعصبًا برأسك هل أنت مريض؟

فرد عليه أيمن :

- برأسي ألم شديد.

حاول حمدان أن يكلمه بلين وحنان إلي أن يصل لمبتغاه ثم قال له :

- عجبًا لحسن حظك أن معي أقراصًا تزيل الصداع سريعًا، وسينهي هذا الألم فورًا.

فرح سليم من شدة ما به من ألم وقال :
- إليّ به فأنا.. لم أعد أستطيع تحمل ذاك الألم لحظة واحدة.

لكن الماكر أيقن أن هذه هي اللحظة الحاسمة والمناسبة بأن يجعل أيمن يعتاد منه على تلك الأقراص فقال له :

- يا أيمن هذه أقراص غالية الثمن، لا تستطيع دفع ثمنها لكني سأعطيها لك اقتراضًا على أن تمنحني ثمنها حينما تكون معك نقود.

وبالفعل أعمى الألم أيمن ودون أن يفكر فيما هو صواب أو خطأ أخذ منه الأقراص وفي تلك اللحظة انتصر ذاك الشيطان على أيمن وأوقعه فيما خطط له هو وصحبة السوء، وابتسم ابتسامة مكر وخديعة حينما رأى أيمن يبتلع تلك الأقراص، وبينما هما جالسين بعد أن أصبحت حالة أيمن جيدة وبدأ مفعول المخدر يُدخل النشوة إلى نفسه، ويصمت ذاك الألم برأسه، حضر سليم ليشهد الجمع الكريم بين حمدان وأيمن وهما متحابين وأصدقاء ويرى أيمن في أحسن حالاته، فتعجب من الأمر وبدا الاندهاش عليه وتوجس خيفة مما رأي وبدأ يساوره الشك في هذا الأمر وانصرف سريعًا،

وبينما هو خارج من البيت إذا بأخت أيمن تطرق الباب بصينية الشاي فأخذها منها، وطلب منها ألا تخرج من غرفتها أثناء وجود حمدان، هنا بينما هما يقفان معا يتحدثان خرج على حين غفلة حمدان، فشاهد أخت أيمن وجذبه جمالها ورشاقتها، وشعر أن بينها وبين سليم شيئًا ما.

ومر يوم تلو الآخر وحالة أيمن تسوء، ويتعجب سليم لما حدث لصديقه ويحاول أن ينتشله من هذا الطريق المظلم، ولكن لا فائدة فقد وقع المحظور وانتهى الأمر وعلم سليم بحقيقة الأمر وبالكيدة المدبرة لصديقه، ويحاول أن يساعده على تخطي هذه المرحلة المميتة التي وصل لها ويخبره بما عرفه ويعلمه بأن حمدان هو وراء ذلك كله ولكن دون جدوى.

حاول سليم أن يتخذ كل الطرق كي يعيد صديقه لما كان عليه قبل أن ينجرف لهذا الطريق الذى وقع فيه بخطة محكمة من هؤلاء الدواهي الذين ينساقون فى هذا الطريق الهالك والذين يحاولون فيه أن يهلكوا كل

مَن حولهم، أخذ صديقه مرة باللين وأخرى هدده بأنه سيخبر والده إن لم يعد عن هذا الطريق، وسيقطع صلته به إن لم يرجع عن هذه الرفقة، لكن أيمن كان قد أصبح مدمنًا، وأصبح لا يرى الصواب من الخطأ، فقد أعماه الإدمان لكل شيء، بدأ أيمن يرسب في امتحاناته التي لم يذهب لأدائها.

حزن سليم على مستقبل صديقه الذي أوشك على الدمار والسقوط، وأراد أن يفعل شيئًا يخلّص قريته من هؤلاء المحتالين الذين يبيعون ما يغيّب عقول الشباب ويحطون آمال تلك البلدة في النهوض والبناء، وفي ليلة شديدة السواد ذهب سليم إلي أيمن ليسأل عنه فلم يجده، حاول أن يستفسر من أخته إلي أين ذهب فردت قائلة:

- خرج مع حمدان على عجل ولا أعرف متي سيعود.

ترك سليم فاطمة أخت أيمن وصاحبة أول دقة

يهتف بها فؤاده بعد أن أوصاها بأن تحرص كل الحرص على عدم الظهور أمام حمدان لأي سبب كان حينما يكون عندهم بالبيت.

ذهب سليم يتحسس في كل مكان أخبار أيمن.. يبحث هنا وهناك في جميع الأماكن المفترض أن يكون فيه وفي تلك الليلة الطويلة علم سليم أن هناك وكرًا يجتمعون فيه كل ليلة إلي أن يقترب الفجر، فذهب إليه خفية منهم وسمع ما يدور بينهم دون أن يعلموا بوجوده وسمع كل أحاديثهم وعلم بموعد استلام شحنة المخدرات وقد أرغم حمدان أيمن على أن يستلمها هو نظير استدانته ذاك المبلغ الذى تراكم عليه نظير إدمانه للمخدرات، وكان موعد استلام تلك الشحنة من تاجر يأتي متخفيًا بسيارة سوداء نهاية كل شهر هجري، فتكون الليلة ليس بها قمرًا بازغًا، فيسدل الظلام ستره عليهم وعلى أعمالهم المشينة، وقد بقي على المدة سبعة أيام كاملة من تاريخ اجتماعهم. علم سليم بكل خططهم وأراد في نفسه أن يخلّص

زميله وصديق عمره من هذا المأزق الذى وقع فيه بسبب تلك الخطة التي أحكموها عليه، انتظر سليم إلى أن أشرق الصبح وذهب إلي أيمن كي يرتب معه خطة يتخلص فيها من هذا الكابوس الذي يعيش فيه.

طرق الباب ففتحت له الباب فاطمة، ورأى وجهها الجميل المشرق فابتسم لها وقال:

- صباح الخير.

فأومأت برأسها مع ابتسامة مشرقة مرددة :

- صباح النور عليك.

- هل استيقظ أيمن ؟

أجابته بأنه بحجرته، فدخل سليم إلي حجرة أيمن فوجده متكئًا على وسادته شاردًا حزينًا بسبب هذه المصيبة التي حلّت عليه والتي لم تكن في حسبانه، يقتلعه الندم لوصوله لما فيه الآن.. كيف تركَ نفسه تنساق إلى هذا المصير المخزي؟ انتبه أيمن لدخول سليم عليه فحاول أن

يوحي له بأنه بخير ولا يعلم أن سليم قد كشف مخططهم، أراد سليم فتح باب الحديث في أي شيء كي يخرجه من حالة الشرود هذه ثم سأله مندهشًا:

- أيمن هل بالفعل ستنساق إلى هذه العصابة؟ وتنسى ما حلمنا به بعد نهاية دراستنا ؟.. هل بالفعل تريد لأبيك أن يعلم أن ابنه الذي تحمّل مرارة الأيام والليالي السوداء لأجله قد أصبح مدمنًا ؟.. أبوك الذي يحاول أن يوفر لك المال كي تكون لك حياة في يوم ما أفضل من حياته التي يعيشها ويتحمل كل مرارها لأجلكم؟.. لماذا تفعل بنفسك كل هذا؟.. هل تريد لأختك التي كتب الله عليها فقد الأم أن تفقد أخاها الذي تعتبره السند ويصبح تاجرًا للمخدرات ؟

هنا اعتدل أيمن في جلسته وردد:

- ما هذا الهراء الذي تتحدث عنه؟.. هل حكمت علي أني سأصبح مثل ما تقول لو أن

كل متعاطٍ أصبح تاجرًا إذا لمن سيروجون؟.. أنت واهم يا صديقي.

وأشاح بوجهه بعيدًا لأنه يعلم أن سليم إذا نظر إليه سيعرف أنه كاذب بحديثه وهنا قال له سليم:

- أنا سمعت ما دار بينكم الليلة، وإن قمت بما طلبه منك حمدان سأكون أنا أول من يقف أمامك ليمنعك من الشر الذي تقحم نفسك فيه.

وهنا تهاوي أيمن أرضًا واضعًا يده علي رأسه ويقول:

- أنت لا تعرف حمدان ماذا سيفعل بي إن لم أقم بهذه المهمة ؟.. لقد هددني بفاطمة إن لم أفعل ما يطلبه مني سيقومون بخطفها هو ورجاله رفاقه.. أنا حياتي انتهت يا سليم وأخاف على حياة أختي.. أخاف أن أكون سببًا لدمارها بسبب ما فعلوه بي.

وهنا أدرك سليم أن أيمن في ورطة كبيرة

والأمر الآن لا يمسه وحده بل يمس قلبه معه.. إنها فاطمة كيف يجرؤ هذا المعتوه حمدان أن يفكر مجرد تفكير في أن يمس شعرة منها؟

أجاب سليم معقبًا على كلام أيمن :

-أنا من سيقف ضده.. لن يستطيع أحد أن يقترب من فاطمة وإن اضطرني لأن أقتلع روحه من جسده.. لن يستطيع أحد أن يقترب منها ما دمت حيًا وبقلبي نبض حبها.

اندهش أيمن من بوح سليم له وقال :

- ماذا تقول يا سليم؟.. أنت تحب فاطمة ؟

أجاب سليم:

- نعم أحبها ولم ينطق لساني باعتراف لها احترامًا لك يا صديقي وكنت منتظرًا إلى أن أتخرج وأتقدم لها رسميًا، ولكن الآن لم الانتظار؟.. الليلة سأتقدم لخطبتها رسميًا من أبيك و لكن يجب عليك الآن أن تكون في قبضة يدي كي أخلصك نهائيًا من هذه الورطة التي أقحمت

نفسك بها.

هنا ضعف أيمن واستسلم لنداء صديقه الذي يعلم صدق محبته له وقال له :

- أنا بين يديك ولكني أخاف من بطش حمدان وأعوانه.

وهنا قال سليم:

- لا تخف نحن على الحق وأنت وقعت فريسة لخطة دنيئة منهم ويجب أن نتعامل معهم بخبث ودهاء، ولكن يجب عليك أن تسمع كلامي وتجاهد معي إلى أن نقتلع هذا السم من جسدك.. ماهي إلا أيام تتحمل فيها خروج هذا المخدر من جسمك وبعدها لن يستطع أحد هزيمتك، لكن يجب أن تكون لديك العزيمة والقدرة على ذلك.. عدني يا أيمن أن تزيل هذا البلاء من جسدك.

وبنبرة ملؤها حزن وخوف وترقب أجاب أيمن صديق عمره:

- نعم أعدك.

طمئنه سليم وقال له :

- الله معنا وأنا بإذن الله معك.. أمهلني بعض الوقت كي أرتب خطة برأسي للقضاء عليهم جميعًا دون المساس بك.

وفى المساء دخل سليم حجرة أمه بينما الجميع منشغل وانتهز فرصة أن يكونا بمفردهما قبل يدها حينما شاهدها تبتسم له عندما دخل عليها وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث ثم أخبرها بأنه يريد أن يتقدم لخطبة فاطمة أخت صديقه أيمن الليلة.

بدت السعادة على وجه أمه حينما علمت بأنه يحبها منذ فترة وأنه كان ينتظر إلى أن ينهي دراسته لكنه جد في الأمور ما يحتم عليه طلبها الآن، وطلب منها أن تخبر زوجها ليحضر معهم.

سرت أمه لذلك لأنها كانت تحب فاطمة لأدبها واعتزازها بنفسها وحسن أخلاقها وقالت له أمه :

- سأخبر عمك حينما يعود لا تقلق.
وبالفعل تمت الخطبة وكان زوج أمه سعيدًا لأن سليم لن يكلفه شيئًا في هذا الأمر وحينما علم حمدان بتمام هذه الخطبة التي صعق عند سماع أخبارها وكأن ثعبانًا لدغه وأيقظه من مرقده وحدث نفسه قائلًا:

- لن أتركك تهنأ بها يا سليم.

وأخذ يرتب بدهاء خطة للنيل منهما بكل حقد وكراهية وغيرة قاتلة.

ومرت الأيام وسليم يحاول جاهدًا مع صديقه حتى انتشله من بيئة حمدان وأعوانه وانتظم بجامعته من جديد، وكلما رآهم حمدان استشاط غضبًا وبغضًا.

وفي صباح يوم ما كانت فاطمة ذاهبة إلي جامعتها بالسنة الأولي لها وكان هذا اليوم يتطلب منها أن تذهب مبكرًا والطريق شبه خال من المارة وبينما هي تسير إذ خرج عليها ثلاثة شباب بسيارة واختطفوها منتهزين فرصة خلو

الطريق من الناس.

مرت الساعات وهاتف أيمن أخته ولكن كان هاتفها مغلق مما أثار الشك في قلبه فذهب إلى سليم كي يخبره، فانتفض سليم من نومه وأخذ يهاتف فاطمة ولكن دون جدوى، كاد سليم وأيمن أن يُجنّا مما حدث وارتابوا أن يكون وقع ما كانا يخافان منه

قال أيمن لسليم:

- يجب أن نتكتم الأمر ونبحث بسرية كي نعرف ما حدث.

ورسما خطة كي يعرفا إذا كان حمدان له دخل باختفاء فاطمة، وبالفعل توصلا بأن سيدة رأت الشبان الثلاثة يختطفون فتاة لكنهم هددوها بالسلاح أن تكتم ما رأت لكنها لم تستطع خوفًا على تلك الفتاة المسكينة.

دخل سليم وأحضر سكينًا خبئه بمكان ما بجسده وطلب من أيمن أن يهاتف حمدان تلفونيًا ويعلم

منه ماذا يريد ويستدرجه ويقوم بتهديده وكان رد حمدان عليه بنبرة ساخرة قائلًا:

- أهلا بأخي العروسة .. كنت سأتصل بك حالًا كي تشهد عقد زواجنا أنا وفاطمة. انهال أيمن عليه بالشتائم والتهديد إلى أن قال له حمدان مهددًا أيضًا:

- إياك أن تخبر أحدًا واحضر حالًا ومعك فستان زفاف لأختك لأنني لم أتمكن من شراءه.

ولأن حمدان يعلم أن أسرة أيمن لا حول لها ولا قوة استخف بهم وفعل ما فعل وقبل أن يغلق الهاتف في وجه أيمن قال له:

- يجب أن تكون مستعدًا للحضور إلينا بمفردك حينما أتصل بك.

تهاوي أيمن من هول ما سمع وأخذ يبكي على الحالة التي أوصل أخته إليها مع هذا الماكر المخادع وهي لا ذنب لها صرخ سليم في وجه أيمن وقال له :

- هل ستجلس تبكي كالنساء؟.. قف الآن وحاول أن تتذكر مكانًا آخر غير الذى كان يعتاد عليه.. غير الذي تعرفه.. اعصر عقلك وحاول أن تتذكر، ومرت الدقائق متثاقلة عليهما لا يعرفان ماذا يفعلان إلى أن تذكر أيمن بالفعل أن هناك بيت في جهة البحيرة مهجور هو ملك لأبو حمدان، حينها أسرعا إليه يتفقدان من بعيد ما فيه، حتى وجدا أمامهما سيارة حمدان وبجوارها سيارة أخرى.

انتظر سليم وأيمن الفرصة للهجوم على هذا المكان وإنقاذ فاطمة ولكن انتظارهما طال إلي أن بدأ الفجر بالبزوغ، وحينها خرجت سيارة من الاثنتين ويبدو أنها ليست سيارة حمدان، حينها تقدم أيمن يتفقد الأمر لنحافة جسده وعلم باستطلاعه أن حمدان لحاله مع فاطمة وهي أمامه مقيدة تبكي خوفًا ترتجف ولا تعلم إلى متي ستظل حبيسة هذا المعتوه، حينها أشار أيمن لسليم بالدخول، وانقض على حمدان كما الأسد الذى ينقض على الفريسة وأخذ

يلكمه عدة ضربات دون وعي منه إلا أن خرّ صريعًا وكان أيمن يحاول فك قيد أخته، وارتمي حمدان يغرق في بحور دمائه وبجواره صناديق المخدرات التي كان ينوي توزيعها.

انتابت فاطمة حالة من الذعر إلي أن طمأنها سليم بأحضانه وطلب من أيمن أن يأخذها ويذهب من هنا سريعًا، ولكن أيمن رفض أن يتركه بمفرده لكن سليم صرخ بوجهه عاليًا وأمره بالانصراف وأخذ فاطمة لكان آمن. وبالفعل ذهب أيمن وفاطمة بعد أن تعهد سليم لفاطمة بأنه سيرجع لها سليمًا معافًا، ذهب أيمن واخته وانتظر سليم إلى أن تأكد من وصولهما لبر الأمان.. حينها أحس بضوء سيارة تأتي من بعيد فترك المكان مسرعًا وبيديه تلك السكين التي تنساب منها دماء حمدان.

وها هو ضوء الفجر يتسلل بخيوطه لتشرق حياة جديدة على تلك القرية النائمة المطمئنة بعد التخلص من هذه العصابة الظالمة.

رؤى أم أحلام؟

نظرت إليه متعجبة مندهشة وهو يسرد لها ما فعله من أخطاء نادمًا عليها، يبحث عن قلب يأوي إليه.. عن دفء حضن فقده رغم تعدد الأحضان التي لم تكفه.. اعترف وندم وأقر أنه كان مخطئًا، والآن يبحث عن حنان.. عن حضن يبعده عن الخطيئة خوفا من أن تجذبه الخطايا إليها مرة أخرى.. يريد حنانًا حقيقيًا منزوع من الهوى يهرب معه.. بدلًا من أن يغرق صريعًا في بئر الخطيئة، تلفتت يمينًا وشمالًا علّها تجد له خلاصًا.. تريد أن تمد له يد العون، لكنه يقف بعيدًا وكلما اقتربت زادت بينهما الفجوة اتساعًا.. بينهما سور عالٍ وأسفله محيط أمواجه حمم تلتهب كالبركان.

مد يده إليها يطلب منها أن تنتشله مما هو فيه وأشار ناحية قلبه المعذب وبكى وقال:

- إلى متى؟.. إلى متى الانتظار؟

هبّ واقفًا كي يقتحم الأسوار فتهاوى صريعًا، ودق صوت المنبه بأن الصباح قد أسفر، حينها أيقنت أنه كان حلمًا ولكن من فيه تكاد تعرفه أو رأته مرة من قبل بمكان ما!!.

قامت من مخدعها تلتفت إلى ذاك النور المنبعث من نافذة غرفتها، ففتحت نافذتها على مصراعيها تتفقد خارجها وتتعجب أين ذهبت الأسوار؟.. أين اختفت أمواج اللهب

وتساءلت في نفسها بتعجب..

أين هو؟.. ومن هو؟..

ولماذا أتاني أنا ليعترف لي بخطاياه بالمنام؟

وقعت عيناها على منير جارها منذ سنوات عديدة رغم اختلاف عقيدتيهما إلا أنه دومًا يقدّرها ويكن لها مزيدًا من الاحترام والتقدير رغم أن هناك أحاديث نطقت بها أعينهما إلا أنه يستحيل أن ينطق بها لسانيهما، فقد كان زميلها بالعمل أيضًا وكثيرًا ما كانا يسيران

سويًا للعمل.. كان صديقًا وزميلًا وأخًا وجارًا منذ الصغر تربطهما حقوق الجيرة وأشياء أخرى لا يجوز التصريح بها في مجتمع كمجتمعهما.

اليوم وفي هذه اللحظة طلب منها منير أن يستشيرها في أمر هام، وما أن فرغا من أعمالهما حتى أراد أن ينتهز الفرصة ويتكلم معها.. يحكي لها عن أحزانه ومتاعبه وفي أثناء الحديث لمّح منير إليها بطريقة غير مباشرة أنها أصبحت تشغل كل تفكيره ويعلم مدي الأسوار العالية التي تقف حائلًا بينهما.

تطرقت بخيالها وفكرها لما رأته ليلة البارحة من رؤى في منامها وأيقنت أنه هو الذي كان فيه.. شردت بفكرها عنه وعن حديثه إلى أن انتبهت وهو يقول لها :

- لقد أصبحت تشغلين حيزًا كبيرًا من حياتي و لا أستطيع أن أتخيل الحياة بدونك.

أخرست فاطمة حديث منير وطلبت منه أن يكفّ عن الخوض في هذا الموضوع الذي لا حل

فيه، وشبهت موقفهما مثل اللذين يقفان على فوهة بركان.. إن تحركا من مكانهما سيطيح بكل من حولهما وأولها حياتهما.
رد عليها قائلًا:

- أحيانًا نكون مجبرين على ما خلقنا له ولا يكون بوسعنا تغييره، ولكن قلوبنا تنبض وتحيا بما نشعر به.

حينها قالت له:

- إذًا فليكن الفراق.. لن يجمعنا طريق آخر بعد هذه اللحظة.

تركته وقامت مسرعة وقد أيقنت أن ما فعلته هو عين الصواب، ومرت الأيام سريعًا، وكلا منهما في حاله.. حتى السير معًا للعمل صار محرّمًا كالخمر أو أشد حرمة.. فطريقهما صار وعرًا وإن خاضا فيه خطوة واحدة، فسيفتحان على نفسيهما حرب شرسة من مجتمع عقيم ولدت فيه الحرية بدون أطراف تسير عليها حتى الأطراف الصناعية لا يسمح لهما بتركيبها.

أهل الكهف

أغمضت عينيها.. تود لو أنها تسلم نفسها للموتة الصغرى كي ترتاح من هذا الألم الذي ينهش بنهم رأسها، وكأنها قنابل مدوية تنفجر واحدة تلو الأخرى برأسها، ألم يجعل من رأسها ثكنات لحرب هائلة بين ذكريات ماضيها ومستقبل كانت تود أن تلتئم جراح حاضرها، تحاول أن تهرب برأسها وتدفنها بين الوسادة كي لا تستجيب روحها لهذا النداء.. نداء أحاديثه معها ما بين بسمات ونسمات وكلمات تحنو على قلبها وآمال كانت تريد منذ زمن أن يحققها لهما، وطيفه الذي يحاصرها كلما أغمضت عينيها.. وتلتفت يمينًا وشمالاً تسمع صوته وكأنه أمامها تُحكم الوسادة على أذنيها كي لا تسمع وتغمض عينيها كي لا تراه وهو مستعمر كل مكان بقلبها وحاضرها حتى ماضيها ومستقبلها لا تعلم أين تهرب منه؟.. حتى خيالها لا أحد فيه غيره.

جلست متحدية ذاك الألم برأسها ما بين صرخة صامتة ودموع تنهمر من مقلتيها ويقطع وحدتها ذاك المشهد حينما كانا سويًا في ذلك الكهف في عالمهما الخاص منزويان بعيدًا عن هذا العالم، يجلسان بالقرب من بعضهما البعض ينظران لذلك القمر البعيد الذي يضئ الكهف القابع بين أحضان الجبل الصخرية وكأنها دنيا خلت من جميع البشر إلاهما.

يحدثها بمزامير شعره وقصائده وكأنه كروان يشدو بجوار القمر وتنصت له وتقول بهيام:

- الله.

قال لها:

- أنتِ عالمي.. فمعك أشعر بأني في دنيا تخلو من القسوة.. أهرب معك هنا في ذلك الكهف وأرجو أن تتدحرج تلك الصخرة لتغلقه علينا ونفيق لنجد عالمًا جديدًا خاليًا من الحاسدين والمخادعين والمنافقين. ردت عليه ودموع تنحدر من عينيها في حزن قائلة:

- وكيف تنزوي فيه آمالنا وأحلامنا التي لا نستطيع الجهر بها في هذا العالم العفن الذي كل ما فيه قسوة وهجر وحرمان، والاهتمام الزائد منا لأحبابنا أصبح في قاموسهم جرمًا تحاسبنا عليه قوانينهم.. والطيبة والحب الصادق والوفاء أصبح نوعًا من السذاجة يجب أن تُدفن حية كما كانت تُوأد البنات في الجاهلية، ليتنا نستطيع أن نغلق هذا الكهف علينا أعوامًا وأعوام لكي نفيق وقد تغيرت عملة العواطف بقلوب البشر فتصير عملة نادرة الوجود عملة لا أنانية فيها.. عملة ممتلئة حب وحنان واحتواء وإحسان.

وقفت في تلك الغرفة التي بقيت فيها سجينة مشاعرها الصامتة وبين تلك الحرب التي أجمع طرفيها على الفتك برأسها.. تتساءل ماذا جنيت كي يكون نصيبي من كل أحبابي هو الهجران.. أيكون هذا العقاب المكتوب على كل قلب أحب بصدق؟، وهنا ينطلق صارخ يفتت أرجاء ذكرياتها.. يجعل جميع المشاهد له برأسها تحط كما تحط الصقور

على الفريسة، تتهاوى لتجعلها تخر صريعة على الأرض لا تتمالك نفسها.. فلقد أفقدها الألم الحضور بعالمها.. تستغيث ولكن لا جدوى من صرخاتها لا الألم يرحم أناتها ولا الذكرى تريد أن ترحل عنها ولا ذاك الكهف يريد أن ينغلق عليهما فينسيها الألم وينساهم هذا العالم الحقير. صمت العالم حينما صمت هو بالسؤال عنها حينما تركها بهذا الكهف وحدها وأحكم الصخرة عليه.. تركها دون وداع ودون أن يفصح عن سبب هجرانه لها وكأنه عقاب على حبها له. نظرت من تلك الفجوة الصغيرة بين الصخرة وجدار ذلك الكهف؛ فوجدته يستمتع بألمها.. يقف متفرجًا والابتسامة تعلو شفتيه والدموع تتساقط من عينيه.. شعور ممزوج صاحت فيه متسائلة:

- إلى أين أنت ذاهب؟ ألم يكن هذا هو مكان تلاقينا؟.. ألم يكن هذا كهف غرامنا؟.. إلى أين ولمن هنا تتركني وحدي؟

قال لها مجيبًا:

- سأبحث عن عملة جديدة لقلوبنا لأن عملتنا باتت قديمة لا تتداول ولا يستخدمها هذا العالم الحقير.

وهنا حطت بنوم عميق وكأن النوم بات أحن عليها من كل مَن يقولون أنهم أحبوها.

زائر لا يطرق بابًا

الموت زائر لا يطرق بابًا ولا يستأذن.. يتربص بالأرواح مثل الصقر الذي يُمهل الفريسة فيُوقع بها.. وينقض عليها دون رحمة تاركًا ورائه أحزانًا كبيرة.. تتضائل يومًا بعد يوم.. ليتنا نتعظ من هذا الزائر ونعد له لنكون على أهبة الاستعداد له.. ضيف غير مرغوب به لكن زيارته حتمية لا مجال للشك فيها ولكننا لا نعرف له موعدًا.. أحيانا يأتي المكان مرة كل أعوام كثيرة، وأخرى يعتاد المجيء كل فترة قصيرة إلى ذات المكان؛ هذه حكمة الله لعلنا سندركها في وقت لاحق. كان عنده من الأولاد ستة يحبهم ويرعاهم ويصل رحمه، فلديه أختان؛ واحدة تكبره والأخرى أصغر منه.. والاثنتان متزوجتان بالقرب منه، هذا اليوم آخر يوم برمضان في الثمانينات من القرن الماضي حيث الألفة والصحبة، رائحة الكعك الزكية تملأ البيوت

وفرحة الكبار تسبق الصغار فرحين باستقبال عيد الفطر حيث الاستقبال حينها غير هذه الأيام التى لا طعم لها.. الكل مشغول بحاله أما في هذه الفترة كان العيد صحبة وتجميع للأحباب. كان يعاني من نوبات صرع تصيبه بين الآونة والأخرى تجعل جميع أعضائه تتشنج، وسريعًا ما تمر بسلام.. في صبيحة هذا اليوم ذهب إلى بيت أخته الكبرى التي يقطن بجوارها بشارعين حيث ذهب ليدعوها هي وزوجها وابنها الذي يحل ضيفًا هو وأسرته في عطلة العيدين لتوديع آخر يوم برمضان عنده، إن لم تثبت رؤية شهر شوال، وأصر على ذلك وقال:

- إن ثبتت وأصبح غدًا عيد الفطر فيكون العيد لنا جميعًا نقضيه سويًا.

لم تستطع أخته الكبرى أن ترفض له طلبًا بل كانت سعيدة لأنه أخوها وبمثابة والدها وكل أهلها. تركها مودعًا والبسمة تملأ وجهه الحنون وكأنه الوداع الأخير.. ذهب أيضًا إلى أخته الصغرى التي تبعد عن أختها بمسافة ليست بالقليلة

وكرر عليها ما قاله للأخت الكبرى وأيضا تركها مودعًا، وفي طريقه ذهب إلى الخياط يتعجله بالانتهاء من حياكة ملابسه وملابس أولاده التي سيرتدونها بيوم العيد وأخرج من جيبه أجرة الحياكة وناوله إياه رغم عدم الانتهاء منها. ومر على السوق ليشتري كل شيء من خضار وفاكهة وحلوي استعدادًا ليوم العيد أو آخر إفطار برمضان وفي طريقه تذكر امرأة عجوز كانت من أصدقاء والده كان يعطف عليها سرًا، وبرًا لوالده اشتري لها كل حاجاتها مثل ما اشتري لبيته أهّل عليها والابتسامة تعلو جبينه وهي تقدّر ما يفعله من أجلها وكل مرة تدعو له بتسهيل أحواله وأن يجعل في كل خطواته تيسير ورضا من الله، ودّعها هي الأخرى بعد أن مكث وقتًا ليس بالقليل معها يتحدثان عن ذكريات والديه معها، تركها ورحل وهو يلقى نظرات حنونه عليها وهي تودعه بوافر دعواتها ورغم ذلك قال لها:

- ادعِ لي يا خالة.

قالت مبتسمة مودعة:

- الله ييسر لك أمورك يا بني.

مشى ببطء بطريقه ينظر إلى الأشجار التي تزين الشوارع ونسائم الجو العليل فكان الوقت في حينه أوائل فصل الربيع، دخل بيته نظر لزوجته وأولاده متعجبًا لأنه يطيل النظر لهم ولا يمل وهو صامت. انطلق صوت مدفع الإفطار مدويًا وفرح الأطفال وذهبوا يهرعون للمساجد كي يسمعون الأذان وبناء عليه يصرخون بصوت عالٍ وهم فرحين:

- أذّن يا صائم.

جلس على مائدة الإفطار وأولاده وزوجته وابنة عمه التي تعيش معه بعدما فاتها قطار الزواج ومات والداها، فتولى رعايتها في بيته معززه مكرمة و بعد صلاة العشاء سمع أن غدًا المتمم لرمضان فكان راضيًا وسعيدًا وهانئ البال لأن غدًا يوم آخر برمضان وكأنه ضيف

عزيز لا يريد له الوداع.. أبلغ زوجته بدعوته لأختيه غدًا فرحبت وقائلة له:

- هذه عادتك كل عام نسأل الله ألا يقطع لك عادة حميدة أبدًا وأطال الله لنا بعمرك يا زوجي الحبيب.

وبعد أن انتهى من صلاة التراويح رجع بيته لينام بحجرة وحده.. عادة يأخذها كل رمضان وفي هذه الليلة نام ابنه الأصغر معه الذي يبلغ من العمر سبع سنوات؛ وكان من عادته ألا يغلق الباب من الداخل، فتقوم زوجته بالمرور عليه لتوقظه للسحور وصلاة الفجر ولكنه الليلة أحكم مقبض باب الحجرة دون أن يدري واستقبل القبلة في نومته وكأنه في انتظار ذاك الضيف الذي كان متربصًا له فانقض عليه في صورة تلك التشنجات السريعة التي لم يتمكن أحد من إنقاذه منها لأن الباب كان محكم الإغلاق وزادت النوبة عليه وانقض الصقر يلتهمه بلا رحمة ففاضت روحه إلي بارئها يسبقه عمله وصلة رحمه.

ودخلت في موعدها زوجته لتفتح الباب فإذا به مغلق من الداخل، فانتابها القلق فطرقت طرقًا خفيفًا في بادئ الأمر، توجس قلبها خوفًا وقلقًا بالغين، فأسرعت تطرق بصوت عالٍ وتنادي عليه ولكن لا مجيب.. فانتفض ابنها مذعورًا من جواره ليجده مسجيًا ووجهه معفر بالأرض؛ مغشي عليه.. فقام الولد خائفًا يترنح بالباب ليفتحه وارتمى بين أحضان أمه وهو في هلع وخوف على أبيه، فأسرعت أمه إلى أبيه، صرخت صرخة مدوية لتعلن فيها مراسم دعوته لأحبابه بالحضور المبكر لتبدأ مراسم دفنته وتقف الآن أعماله الصالحة وصلة رحمه ومرضه ليشفعوا له عند بارئه لتقول له الملائكة مرحبة مهللة تردد آيات من سورة الفجر:

- يا أيتها النفس المطمئنة.. ارجعي إلى ربك راضية مرضية.. فادخلي في عبادي .. وادخلي جنتي..

حنين موجع

وقفت والدموع بعينيها تتثاقل للخروج وأدارت بوجهها عنه كي لا يلاحظ ضعفها وخوفها ومرارة ارتسمت على وجهها، وهي موقنة بأنه لا أمل في لقاء يجمعهما من جديد وقد أيقنت أنه منذ لحظة فراقه ستفترسها الذكريات ويجلدها صوت الأنين وتنضب الكلمات وتنتحر الحروف وتحتضر في غيابه المشاعر والأحاسيس.. أجمعت قواها وتجلدت بالصبر وتذكرت كل ما مضى بينهما من لحظات كانت بينهما تساوي عمرًا .. ما بين حب انزوى بعيدًا بكهف لا يراه غير أعين قلبيهما.. أعطاها الحنان مصبوبًا بكؤوس الأمل بأن القادم كله مفروش بالرياحين، رغم استحالة أن يجمعهما القدر بنصيب إلا أنها أحبته حبًا شديدًا، وجدت فيه الوطن حيث تفترسها غربة الأحباب، كان لها الأب والأخ والصديق والرفيق. كان أستاذًا لها بالجامعة رغم تقارب سنهما

وذلك لأسباب عائلية منعتها من إكمال دراستها بعد حصولها على الليسانس، وكان لها آمالاً تريد أن تحققها وحلم يراودها كي تحصل على الدكتوراه، ولأنها تزوجت وانشغلت بدوامة الحياة وتربية الأبناء وزوج عادي كأي زوج.. وزواج تقليدي كأي زواج و بعد أن كبر أولادها أرادت أن تكمل مسيرة تعليمها.. تعاطف معها زوجها وسمح لها بإكمال دراستها رغم قسوته، وعدم مساعدته لها وتحملها أعباء البيت كاملة على عاتقها، كانت تكد ليل نهار لتصل لمبتغاها وبالفعل حصلت على الدراسات العليا وتابعت لمناقشة الدكتوراه.. قابلها الدكتور زياد الذي سهّل لها كل الصعوبات وذللها لها.

كان يدفعها للأمام بقوة كلماته ويعينها على تقبل التحديات وتيسير كل صعب.. نشأت بينهما علاقة قوية لمدة أربع سنوات وأكثر؛ لأنه كان يشرف على رسالتها ومع الأيام اعتادت عليه... أصبح جزءًا أساسيًا بحياتها.. كان يواسيها فى مناحي حياتها ومن جانبه

كانت هي أيضًا قطعة السكر التي تحلو بها حياته ومرارتها.. كانا يتجاذبان الحديث يوميًا.

فأصبح زياد الطبيب المداوي لجميع جراحها وأصبح الصديق الوفي، وأصبحت هي الزهرة الجميلة التي يستنشق عبيرها في حديقة امتلأت بالأشواك.

ومرت الأيام وأتت يوم مناقشة رسالتها وقبل بدء المناقشة بأيام كلف الدكتور زياد أستاذًا آخر بتكليف رسمي بدلًا منه لمناقشة رسالتها، وكان الخبر كالصاعقة التي وقعت عليها حاولت أن تتصل عليه وتتواصل معه لكن دون جدوى ولم تعرف السبب.

وفي هذه اللحظة وتحديدًا يوم مناقشة رسالتها بينما هي تسير أمام مكتبه وإذا هو جالس قابع بركن منزوٍ كي لا يراه أحد إلا أنها رأته، فدخلت عليه حجرة المكتب لتستفسر منه لماذا تركها في أدق لحظات احتياجها إليه؟.. حينما رآها تعمد ألا تلتقي أعينهما فترى حبه المتجمع

بحدقتي عينيه والذي إن رأته ستنهمر شلالات من دموع، لم ينطق بكلمة واحدة ولم يفصح عن سبب تركه لها وعدم رده على مكالماتها سوى عذر واهٍ ألا وهو أنه يمر بمشاكل عائلية تمنعه من الاستمرار معها.. اندهشت من تصرفه هذا، فهي طوال هذا الأعوام لم تلزمه بشيء حتى مجرد الكلمات التي كانت تسمعها منه كانت تدرك أنها ليست من حقه ولا حقها ولكن هي ليست لها إرادة بمشاعر اقتحمت فؤادها وتعلم استحالة أن يجمعهما القدر.. لا تطلب منه شيئًا كما لا تريد أن يطلب منها شيئًا ولكن ليكن ما بينهما شعورًا جميلًا يساعدهما على الاستمرار دون تجاوز ودون خروج عن النص المألوف.. يكفيها أن تشعر أنه يكن لها حبًا أصمًا وهي كذلك تحبه حبًا يعشش بفؤادها ولا ينمو ولا يزدهر.. حب «محلك سر».. حب منزوٍ بركن بعيد عن عالمهم الواقعي يأخذها لعالمهما الخيالي عند سماع أغنية معينة أو رؤية مشهد خلاب أو دراسة جزء من كتاب ما، كل هذا ولا شيء غيره.

خرجت من حجرة مكتبه وقد اسودّت الدنيا بعينيها وتحجرت دموع تأبى أن تفصح أمرها للحاضرين، صمدت بينهم وهي تنتظر وتأمل أن يهلّ عليها لتستمد منه قوتها وعينها على الباب.. أتى الجميع دونه وبدأت المناقشة وكلما أغمضت عينيها لتجمع من قواها الخائرة تسمع صوته وتراه بين الحاضرين إلى أن وصلت إلى نهاية المطاف.

وأنهت مناقشتها ، وجلست تنتظر ووضعت يدها على عينيها تريد أن تتخيله أمامها، ودون أن تدري سمعت صوته يعلو.. وجدته بين المصطفين الجالسين يحاورونها.. وفي النهاية أمسك مكبر الصوت وصمت الجميع ليعلن حصولها على قلبه بلا منازع مع مرتبة الشرف وبامتياز ساحق مع مرتبة الطهر والعفاف.

تمت بحمد الله

الفهرس

مقدمة.....5
نبضات قلب.....9
راحل دون وداع..... 19
أواه يا قلب..... 29
فراق مسطور..... 35
على أطلال الحنين.....41
نافذة الذكريات.....55
صمت موجع.....65
الهاربة.....71
وميض 85
وماذا بعد الفراق ؟.....93
شجار.....109

رؤي أم أحلام ؟.....135
أهل الكهف.....139
زائر لا يطرق بابًا.....145
حنين موجع.....151

لو عاوز تحقق حلمك وتنشر إبداعك وكل الناس
تقراه سواء شعر .. قصة .. رواية .. كتاب
اتواصل معانا وساعدنا نحقق معاك حلمك وحلمنا
إن كل مبدع يوصّل للناس إبداعه..

يوريكـــــــــا

حلّق خارج السرب

01288627690

eureka4publishing@gmail.com